روايات عبير

روزميري كارتر

لا شيء يهم!

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

www.rewity.com
ARAYAHEENA

١ ـ السحر المميت

ستريمز محطة صغيرة للسكك الحديدية ، يتوقف القطار فيها فترة وجيزة جداً لا تكاد تكفي لنزول مسافر أو صعود آخر . جمعت سالي أوبريان أمتعتها بسرعة وهرعت نحو المخرج .

لم تلاحظ الرجل الذي كان يتوجه الى المكان ذاته ، وكأنه على غير عجلة من أمره . حملت حقيبتها الكبيرة ووضعتها قرب الباب ، ثم عادت لتحضر الكيس المنتفخ الذي تضع فيه الأشياء الضرورية ، رفعته واستدارت للتوجه ثانية نحو باب المحطة ، فاصطدمت بالرجل الذي تحرك من مكانه في اللحظة ذاتها . وقع الكيس الثمين من يدها ، وتدحرج بضعة أمتار بعيداً عنها شهقت بانفعال شديد وأسرعت لالتقاطه ، فيما كان القطار يبدأ انطلاقه بسرعة نحو وجهته

التالية .

حضنت الكيس بين ذراعيها ، ونظرت الى الرجل الصامت بعينين زرقاوين تنفثان لهباً حارقاً . وقفت أمام ذلك الانسان الطويل القامة ، وقالت له بلهجة حادة :

ـ اعتقد أن من واجبك تقديم الاعتذار عما حدث !

وجّه الرجل نظرات ساخرة الى وجهها المتعب الذي لفحته الشمس ، وقال لها ببرودة :

ـ أنوثة غاضبة في قلب منطقة وعرة ؟ الغريب في الأمر انني انتظرت منك تقديم الاعتذار .

زادت حدة غضبها بسبب تصرفه المزعج وقالت له بعصبية :

ـ مني أنا ؟ كدت أفقد بعض أمتعتي الثمينة ، وأنت تتوقع مني الاعتذار .

ـ تسرعك وحده هو السبب .

تأمل وجهها الذي زاده الحنق احمراراً ، ثم حول نظراته الساخرة ببطء شديد نحو بقية جسمها النحيل الجذاب . وعندما نظر ثانية الى عينيها الجميلتين ، ابتسم وقال بلهجة قريبة من التهكم :

ـ يبدو لي أن الصبر ليس احدى فضائلك المتعددة ، وعليه فلن اذكرك بأنك انت التي دفعتني ومسؤولة بالتالي عن تقديم الاعتذار .

حاولت الرد عليه ، ولكنه سبقها الى الكلام قائلاً بهدوء :

ـ هل تحتاجين الى أية مساعدة ؟

لو كانت الظروف طبيعية وعادية مع هذا الرجل ، لكانت رحبت من صميم قلبها بسؤاله غير المتوقع . لكن لهجته المتغطرسة جعلت احتمال قبول المساعدة أمراً مستحيلاً . رفعت رأسها بشموخ ، وقالت له بنبرة جافة :

ـ لا ، شكراً .

لم يقل لها شيئاً ، بل حمل حقيبتيه الثقيلتين وابتعد عنها بخطى ثابتة وقوية . رفعت نظرها عنه بصعوبة ، فيما كانت تفكر بخطواتها المقبلة . هل كانت غبية عندما رفضت عرض المساعدة الذي قدمه ذلك الرجل ؟ لا . . . طبعاً لا ، فقد كانت تعلم قبل توجهها الى ستريمز ان عليها ايجاد طريقها بنفسها وبدون مساعدة أحد . . . وخاصة من الرجال الأقوياء المتعجرفين .

سألها والدها بقلق قبل مغادرتها المدينة عما ستفعل لدى وصولها ، وقالت لها امها بحزن انها خائفة من المضاعفات التي ستنجم عن قرارها الانفعالي المفاجىء . اكدت لهما بلهجة هادئة وحازمة تصميمها على القيام برحلتها ، بغض النظر عن المشكلة البسيطة التي ستواجهها في ستريمز عندما ستضطر للاستعانة بقطار أو بسيارة أجرة للوصول الى المنطقة المسماة حوض التماسيح . . . حيث يعمل جون .

كانت الرحلة من المدينة البعيدة الى ستريمز عادية جداً ، وخلت من أي أحداث مثيرة أو مزعجة . فلماذا ستكون المرحلة المتبقية حتى حوض التماسيح مختلفة ؟ ليس عليها الآن إلاّ الاستفسار عن الوسيلة الفضلى لمتابعة طريقها .

تطلعت حولها علّها ترى الشخص المسؤول عن هذه المحطة الصغيرة الفقيرة ، أو حتى أي انسان آخر ، فلم تشاهد أحداً . سارت أمام المبنى المتواضع ، فلم تسمع صوتاً أو حركة . أصبحت تلك المنطقة المنعزلة ، بعد ذهاب الرجل المتغطرس ، مهجورة بصورة تامة . شعرت سالي للمرة الأولى منذ مغادرتها بيتها بشيء من القلق ، وتمنت بشكل عابر وسريع لو انها قبلت مساعدة ذلك الرجل .

أنبّت نفسها لمجرد التفكير بمثل هذه الأمور ، واخذت تتأمل

www.rewity.com ARAYAHEENA

باعجاب ظاهر السهول الخضراء الشاسعة الممتدة أمامها . سوف تتزوج جون وتعيش معه في هذه المناطق النائية ، وستتعلم بالتالي كيف ستواجه المشاكل والصعاب . ستعلمها قساوة الحياة كيفية مجابهة العزلة والوحدة ، عندما يمضي زوجها طوال النهار بعيداً عن البيت . ستضطر أحياناً لاتخاذ قرارات هامة بمفردها ، لأنها قد لا تتمكن في بعض الأحوال الطارئة من انتظار الزوج أو الاتصال به .

سمعت صوت الرعد وشاهدت الغيوم السوداء في السماء ، فقررت التصرف بصورة عاجلة . وضعت علبة الحلوى تحت ابطها وحملت الحقيبة والكيس في يديها ، ثم اجتازت بصعوبة الأمتار القليلة التي تفصلها عن الطريق . ولما تجاوزت الكوخ الصغير ، الذي يستخدم على الأرجح كمكتب لمحطة السكك الحديدية ، شاهدت بارتياح بالغ عدداً من البيوت القروية المتناثرة هنا وهناك على بعد حوالي خمسمئة متر . لم تعد وحدها . . . مع أن حقيبتها الكبيرة سترهقها الى درجة كبيرة قبل تمكنها من الوصول الى أقرب تلك البيوت .

ربما كانت امها على حق عندما وصفتها بالانفعالية . . . وكذلك الرجل المعتدّ بنفسه الذي اتهمها بانها متسرعة لا تعرف الصبر والأناة . الم يكن من الأفضل لها الآن مثلاً أن تكون جالسة في سيارة جون ، تتحدث اليه عن مستقبلها السعيد ؟ طبعاً . . . ولكن جون لا يعلم بوجودها هنا ، لأنها تعمدت الوصول الى مكان عمله بصورة مفاجئة .

وهذا ما سيحدث بالضبط ! أين هي اذن المغامرة المثيرة التي تنتظرها منذ زمن طويل ؟ رفعت رأسها بشموخ وشجاعة ، وسارت نحو تلك القرية . أوه ، يا لسعادتها بما سيحدث لاحقاً ! سيفاجأ جون بوصولها . . . وأكثر من ذلك بفستان العرس الذي تحمله في

كيسها . أوه ، الفستان ! قد ينهمر المطر في أية لحظة ، ويتعرض الفستان للبلل . منحها خوفها عليه قوة جديدة في رجليها المتعبتين قليلاً وذراعيها المنهكتين ، فأسرعت الخطى بعزيمة واصرار .

وصلت الى القرية خلال دقائق معدودة ، وتوجهت فوراً الى مبنى بدا وكأنه فندق صغير . فتحت الباب ، فوجدت البهو الضيق خالياً . دقت جرساً قديماً موجوداً على طاولة خشبية مستطيلة ، فحضر شاب في العشرينات من عمره تبدو على وجهه ملامح البساطة والذهول . هزّ رأسه بمزيد من الدهشة والاستغراب ، عندما سألته عن كيفية الانتقال الى حوض التماسيح . قال لها انه لا توجد قطارات من ستريمز الى تلك المنطقة . سيارات اجرة ؟ الجواب السلبي ذاته . . .

- ألا توجد سيارات ركاب كبيرة ؟

- واحدة فقط ، وتمر من هنا مرتين كل اسبوع . . . الثلاثاء والجمعة .

شعرت باليأس والقنوط ، وتساءلت بصوت حزين :

- كيف سأذهب اذن ؟ رباه ، ما هذه المشكلة !

- عليك الانتظار حتى يوم الجمعة .

كيف ستنتظر يومين كاملين في هذه البقعة النائية ، وماذا ستفعل أثناء ذلك ، هل تتصل بخطيبها وتخبره عن ورطتها ؟ لن تكون المفاجأة المزدوجة كاملة ، ولكن الاتصال به الآن هو الحل الوحيد .

- هل يمكنني اجراء مكالمة هاتفية مع المركز الرئيسي لمنطقة حوض التماسيح ؟

- آسف ، يا آنسة .

هزت رأسها وهي لا تصدق ما سمعته اذناها ، ثم قالت له بلهفة وتأثر :

ـ أنا متأكدة من وجود مركز للهاتف هناك !

ـ صحيح ، يا آنسة ، ولكن العاصفة الهوجاء التي هبت قبل أيام قليلة قطعت جميع خطوط الاتصال الهاتفية .

ـ رباه ! هل . . . هل لديكم غرفة شاغرة حتى يوم الجمعة ؟

لا شك في أنها بدت مرهقة وحزينة للغاية ، وإلاّ فكيف تبرر مسارعة ذلك الشاب الكسول لحمل حقيبتها الى الغرفة الصغيرة المتواضعة التي ستقيم فيها . . . يومين كاملين ! استلقت على السرير الخشبي القديم ، وأخذت تفكر بأفضل طريقة لتمضية هذه الفترة الطويلة . توجد معها في حقيبتها قصة جميلة ، ولكنها لن تساعدها إلاّ لساعات قليلة . فماذا ستفعل بعد ذلك ؟

تذكرت أنّ عليها تعلّم مواجهة الصعاب ، وهذه هي تجربتها الأولى . ذهبت الى النافذة لتلقي نظرة على الخارج ، فلاحظت أنّ السماء سوداء حزينة والبرق يلمع ويهدد بمطر غزير ، والرياح تصفر وتعصف منذرة متوعدة . لن تغادر الفندق الصغير هذا اليوم ، ولكنها قد تذهب غداً الى أحد الجداول التي سميت المنطقة تيمناً بها . . . اذا كان الطقس ملائماً .

ماذا ستفعل بقية النهار وفي السهرة ؟ هل ستبقى في غرفتها الضيقة حتى موعد العشاء ؟ لا ، ستنزل الى مطعم الفندق وتطلب شراباً ساخناً . استحمت واستبدلت ثيابها ، فشعرت بارتياح نفسي كبير شجعها على استخدام بعض مستحضرات التجميل التي تحملها في حقيبتها . لن يراها أحد على الأرجح ، سوى ذلك الشاب المسكين الذي لا يهمها ابداً كيف تبدو أمامه أو كيف ينظر اليها . ولكن سالي أويريان لم تصل الى الثالثة والعشرين من عمرها قبل اختبار أمر بالغ الأهمية . . . وهو أن المرأة غالباً ما تشعر حسبما تبدو للآخرين .

انتهت من عملية التبرج والتجميل ، فأعجبتها النتيجة الى درجة كبيرة وأحست بارتفاع محسوس في معنوياتها . ابتسمت للصبية الحلوة التي تراها أمامها في المرآة ، ثم حيتها بمرح وسرور . وغادرت غرفتها . لم تجد احداً في المطعم الصغير ، الذي بدا نظيفاً وفقير الأثاث كغرفتها ، ولكنها قررت البقاء فيه بعض الوقت . . . لأنه اكبر قليلاً من المكان الذي ستنام فيه .

شاهدت مجموعة من المجلات على احدى الطاولات ، واكتشفت بينها اثنتين فقط صادرتين خلال هذا العام . ستتصفح المجلات كلها ، وببطء شديد ، الى أن يحين موعد العشاء . . . أو يتحسن الطقس قليلاً بحيث تتمكن من القيام بنزهة قصيرة في الخارج .

اختارت احدى الطاولات القريبة من النافذة ، وفتحت احدى المجلات . لاحظت في صفحة المحتويات دراسة عن تربية الحيوانات ومعالجة أمراضها . فبدأت تقرأها باهتمام بالغ . هذه هي طبيعة عمل خطيبها وسوف تحظى بجانب كبير من وقتها في المستقبل القريب . انه يحب الحيوانات بشكل مذهل ، وقد تعمّدت منذ صغرها الاطلاع على كل ما يتعلق بهذه المخلوقات كي تتمكن من تمضية أطول وقت ممكن قرب جون والتحدّث معه في المواضيع التي يحبها ويفضلها . وفيما كانت غارقة في قراءة تلك الدراسة التحليلية سمعت رجلاً يسألها :

ـ هل تمانعين في انضمامي اليك ؟

رفعت رأسها نحو الرجل الواقف قربها . فحل الارتياح محل التوتر وتحول العبوس الى ابتسامة . كان شاباً وسيماً بهي الطلعة ، ذا عينين خضراوين جميلتين . قالت له مرحبة :

ـ أهلاً وسهلاً ، تفضل . كنت على وشك الاقتناع بأنني النزيل الوحيد في هذا المكان .

ابتسم لها بطريقة جذابة ومهذبة ، ثم قال :

ـ لو حدث ذلك فعلاً ، لكان الأمر مؤسفاً للغاية ! سيبدأ النزلاء الآخرون بالوصول خلال فترة قصيرة ، فهذا المكان مخصص تقريباً للجوالة .

لاحظ نظرة الاستغراب في عينيها ، فأوضح قائلاً :

ـ أعني الباعة الجوالة مثلي ، اذ اننا نمضي الليل هنا قبل متابعة سفرنا الى أمكنة اخرى . ماذا تشربين ؟

ـ عصير الليمون ، شكراً .

ـ هل أنت متأكدة من ذلك ، أعني انك فتاة كبيرة و . . .

قاطعته قائلة بتهذيب حازم :

ـ عصير الليمون .

رفع حاجبيه بصورة تدلّ على الدهشة والحيرة ، ولكنه ابتسم وقال :

ـ انثى قوية الشخصية وعنيدة . . . ولكنها جميلة ، جميلة جداً ! هل من مجال لاقناعك بشيء آخر ؟

ضايقها سؤاله واصراره ، ولكنها أخفت انفعالها بابتسامة رقيقة عذبة وقالت :

ـ ألم تقل انني قوية الشخصية وعنيدة ؟

ـ وأنا أيضاً ! خففي من عنادك قليلاً ، أيتها الفتاة الجميلة ، فلدينا وقت طويل جداً حتى الصباح ويمكننا تمضيته في اللهو والمرح .

حاولت سالي التصرف بهدوء ذكي بعيداً عن الانفعال والغضب ، فقالت للشاب الذي يجلس قربها :

ـ شكراً ، ولكنني سأكتفي بكوب من عصير الليمون .

تأفف الشاب بصوت مرتفع نسبياً ، وطلب لها كوباً من العصير ولنفسه شراباً لم تسمع باسمه من قبل . راقبته وهو يفرغ محتويات

كوبه جرعة واحدة ، وسألته بهدوء مميز :

ـ ماذا تبيع ، يا سيد . . . أوه ، اعتقد انني لا أعرف اسمك .

ـ كروجر . مارتي كروجر أنت سالي اوبريان . قرأت الاسم في سجل النزلاء .

شعرت أنها بدأت تتضايق منه بصورة فعلية . ولكنها قررت عدم التسرع في اعلان الحرب عليه . قررت تحويل أفكاره الى أمور متعلقة به ، فسألته مرة أخرى :

ـ ماذا تبيع ، يا سيد كروجر ؟

وضع ذراعه على كتفها ، وقال :

ـ ثياب داخلية للنساء . هل تحبين القيام بدور عارضة أزياء أمامي ، ولو لمرة واحدة ؟

كيف ستواجه هذا الشاب التافه ، الغضب عارم ، وطبيعتها الاندفاعية تطالبها برد سريع يناسب التصرف الرخيص الطائش . انها انسانة طيبة لا تحب الحاق الأذى بالآخرين ، ولكنها تكره الاستفزاز والتحدي . نظرت اليه بعينين قاسيتين ، وأجابت بصوت منخفض :

ـ دعني وشأني ، يا سيد كروجر ! اتركني من فضلك .

اختفت الملامح الصبيانية البريئة من ابتسامته ونظراته ، وتحولت الى نار ملتهبة . ضغط على كتفها ، وقال :

ـ لا تمانعي كثيراً ، يا سالي ! تصورت أننا سنمضي معاً فترة لهو رائعة يا فتاتي الجميلة !

حاولت تحرير كتفها من قبضته ، ولكن أصابعه غرزت بعنف في مكانها . رفعت رأسها بشموخ وعنفوان قائلة :

ـ ارفع يدك عني ، يا سيد كروجر ، وإلاّ . . .

أطبقت يده الأخرى على فمها بسرعة هائلة لمنعها من الصراخ ،

فيما كان ينظر اليها والشرر يتطاير من عينيه . اختلط غضبها بالخوف والذعر . . . فمن سيهب لنجدتها حتى اذا تمكنت من الصراخ طلباً للنجدة ؟ قد يسمى هذا النزل الصغير فندق الباعة الجوالة ، ولكنه يبدو واضحاً ان كروجر هو البائع الوحيد الذي ينزل فيه . هل يعقل أن يساعدها ذلك الموظف الهادىء ، مجازفاً باغضاب نزيل يعرفه منذ زمن طويل ويستفيد منه بصورة شخصية ؟ لا ، لن يفعل ذلك . . . وعليها بالتالي الاعتماد على نفسها ومواجهة الصعاب بالوسائل المتاحة لديها .

حصرت كل قوتها وحنقها في أسنانها ، وعضت تلك اليد القذرة بعنف لم تحلم أبداً انها قادرة عليه ، صرخ الرجل من شدة الألم ، وأبعد يده الجريحة عن فمها . استغلت تلك اللحظة المناسبة ، وركضت نحو الباب بأقصى سرعتها . ولكنه كان أسرع منها ، فأمسك بها وأدارها نحوه بقساوة بالغة . يا لتلك النظرات السامة الحاقدة !

رفع يده لينهال بها على وجه سالي الشاحب ، ولكن ذراعاً ضخمة قوية انقضت فجأة على وجه المعتدي بلكمة عنيفة طرحته أرضاً وفجرت الدماء من شفتيه . اطلق كروجر الشتائم القبيحة ، واستعد للوقوف والمواجهة . ولكنه تسمر في مكانه عندما شاهد وجهاً كأنه قد من صخر ، ونظرات التهديد والوعيد تنطلق كالسهام القاتلة من عينين باردتين فولاذيتين . وفيما كان الرجل العملاق يرفع مارني كروجر بيد واحدة ، لاحظت سالي بذهول شديد أن منقذها لم يكن الاّ المتغطرس الذي اصطدمت به في المحطة . قال كروجر لمهاجمه بلهجة تشتعل غضباً وانفعالاً :

ـ ماذا تفعل ، يا رجل ؟

ـ امنع وقوع حادثة قبيحة .

تامل كروجر يده الدامية وآثار أسنان سالي ، التي لا تزال بادية بوضوح . وصرخ بحدة :

ـ اللعينة ! التافهة ! انظر كيف عضتني !

هز الرجل القوي وقال :

ـ اياك من التمادي في كلامك !

ثم أبعده عنه باحتقار ، وأضاف قائلاً :

ـ انا متأكد من انها اضطرت للقيام بذلك ، نتيجة الاستفزاز والتصرفات المشينة .

أحست سالي أن كروجر لن يرد بشيء ، أو حتى أن يلجأ الى الكذب والافتراء ، لأن الذراع الحديدية للرجل الآخر أفزعته وأرعبته . فتح فمه ، وأغلقه ثانية ، ثم نظر الى سالي بعصبية ظاهرة . . . وغادر القاعة الصغيرة .

ـ شكراً ، انقذتني من . . .

ـ من مصير أسوأ من الموت ؟ لا ، لم تعد الأمور سيئة الى هذه الدرجة في عصرنا الحالي . يمكنك القول انني انقذتك من مشكلة مزعجة .

أرادت الرد عليه بانفعال ، ولكنها تردّدت لحظة ثم قرّرت الامتناع كلياً عن ذلك . . . اذ ليس لديها في الوقت الحاضر أي حليف سواه . قالت له بهدوء :

ـ سمحت له بالجلوس معي ، عندما طلب مني ذلك بتهذيب فائق . لم أكن لأتصور أبداً انه يفكر بأكثر من مجالستي ودعوتي الى مشاركته كوباً من العصير .

ـ لا توجهي اللوم إلاّ لنفسك .

هل قال لها حقاً هذا الكلام السخيف ، أم أنها تتخيّل ذلك ؟ نظرت اليه فرأت انه يتأملها بهدوء وبرودة فيما تعلو شفتيه الجذابتين

www.rewity.com ARAYAHEEN

ابتسامة رقيقة . تذكرت تصرفه القاسي معها في محطة السكك الحديدية ، فقالت له بانفعال شديد :

- توحي كلماتك هذه بأنك تعتبرني فتاة سيئة السمعة !

ضحك بصوت مرتفع ، وقال لها بلهجة هازئة :

- معظم اللواتي تتحدثين عنهن هن أكثر دهاء وحنكة منك . لا يا آنسة اوبريان ، لم أقصد الايحاء بذلك اطلاقاً . ما عنيته بالضبط هو انك تعرضين نفسك لمواقف مزعجة وصعبة ، لأنك لا تعيرين أي اهتمام على ما يبدو لكونك شابة رائعة الجمال ، تسافر وحدها بدون رفيق . هل أنت في الثامنة عشرة من عمرك ؟

- عمري ثلاث وعشرون سنة ، يا سيد !

- اذن ، أنت شابة متقدمة واعية ! كنت اتصور أن فتاة بمثل سنك ستفكر أكثر من مرة قبل ارتداء ثياب السهرة والتبرج على هذا الشكل لمجرد الجلوس في مطعم فندق للباعة الجوالة . . . ما لم تكن مستعدة للتحرش والمغازلة ، أو راغبة فيهما .

هل تصفعه على وجهه بالقوة ذاتها التي لكم فيها الرجل الآخر ؟ لا ، يكفيها عنف هذا اليوم ! رفعت وجهها نحوه بعزة وانفة ، وقالت له بهدوء حازم :

- لن يتكرر هذا الأمر ثانية . سأتوجه الآن على الفور الى غرفتي .

- يجب عليك أولاً تناول طعام العشاء ، يا آنسة اوبريان . ما رأيك لو أكلنا معاً ؟

شعرت بشيء من الارتياح ، لأن وجود رجل قوي الشخصية والبنية معها سيضمن لها عدم تحرش أحد بها . ولكن قد يفسر قبولها لدعوته بصورة خاطئة . لذلك قالت له :

- لست متأكدة من انني اريد ذلك .

- وهل تفضلين اهتماماً من نوع آخر ، كالذي أبداه صديقك ؟

نظرت اليه بتحد ، وسألته بشيء من [illegible] .

- وماذا يهمك من أمري ، أو بما سيحدث لي ؟ ألم تقل بنفسك انني المسؤولة عما جرى ؟

أجابها بلهجة باردة وهادئة :

- لا يهمني أمرك أبداً يا آنسة ، ولكن مالك الفندق صديقي واهتم بأمره . انه الآن في المستشفى ، ولن يكون سعيداً البتة اذا وقع في فندقه حادث قبيح تنعكس نتائجه على سمعة الفندق .

ثم أمسك بذراعها ، وأضاف قائلاً :

- هيا ، يا آنسة اوبريان ، لننتقل الى طاولة الطعام .

ازداد غضبها وحنقها بسبب هذه الغطرسة ، التي لم تعرف لها مثيلاً من قبل . ولكنها مضطرة لتهدئة غضبها ، ولو لهذه الفترة على الأقل ، لأن كلامه يحمل الكثير من الصحة . فالحادثة التي وقعت مع مارني كروجر أزعجتها وأرعبتها ولم تعد بالتالي قادرة على تحمل المزيد من المضايقات أو المشاكل . ووجود رجل كهذا معها من شأنه الحؤول دون وقوع حوادث مماثلة . مشت معه نحو الطاولة الكبيرة فازدادت اعجاباً بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين . . . ورجولته الساحرة . ارتعش جسمها قليلاً لمجرد التفكير بذلك ، واكنها سارعت الى السيطرة على أعصابها واستعادة رباطة جأشها . انه رجل متعجرف قاس ، ولن تدع سحره الجذاب ينسيها هذا الأمر .

في أي حال ، هذه هي المرة الأخيرة التي ستراه فيها . . . فأين المشكلة ! هزّت رأسها بعصبية ، وكأنها تحاول اقناع نفسها بطرده من أفكارها ، فلاحظ الرجل حركتها . . . وضحك . لم تسمع في حياتها صوتاً أكثر اغراء واثارة ، وعاد الارتعاش يهز جسمها ويقلق بالها . سألته بصوت منخفض :

- هل فعلت شيئاً يضحكك ؟

ـ الى حد ما ، فأنت على ما يبدو تستعدين لمواجهة هجوم آخر !

ـ وهل أنا على وشك التعرض لذلك ؟

تأملها لحظة ، فشعرت بسخافة سؤالها وندمت على توجيهه . شاهدت في عينيه سخرية لاذعة وتوقعت منه جواباً قاسياً ، ولكنه قال لها بلهجة مهذبة :

ـ لن تتعرضي الى أي هجوم مني ، يا عزيزتي ، فأنا لا أهاجم الأطفال .

أثارها في رده بتلك الملاحظة المتعلقة بسنها ، فقالت له بحدة بالغة :

ـ انا لست طفلة !

ضحك مرة اخرى وقال :

ـ حقاً ؟ ستقنعينني بصحة ذلك عندما تتصرفين كشابة ناضجة راشدة . هيا ، اجلسي .

لماذا يتحدث معها وكأنها طفلة صغيرة ؟ تردّدت سالي لحظة بين الرفض والقبول . . . بين الاعتراض والموافقة ، لكنها قررت في نهاية الأمر أن تحديه سيثبت له عدم نضجها وسيزيد من احتقاره لتصرفاتها الصبيانية . جلست الى الطاولة ببطء وتمهل ، وأمضت فترة طويلة في دراسة قائمة الطعام التي لا تضم إلاّ طبقين رئيسيين وعدداً قليلاً من المقبلات . وعندما رفعت رأسها نحوه ، لاحظت انه كان يتأملها بعينين ضاحكتين . . . فالقائمة القصيرة لا تحتاج إلاّ لنظرة واحدة . سألها عما اذا اختارت أنواع الطعام التي سيطلبها لها ، فقالت :

ـ طبعاً ، سأبدأ بالحساء ومن ثم . . . كيف عرفت اسمي ؟ من سجلات الفندق ؟

ـ طبعاً . أنت سالي اوبريان ، وتقيمين هنا حتى يوم الجمعة . هل

انت عزباء كما اتصور ، ام انك تركت خاتم الزواج في بيتك ؟

ردت عليه بحدة ومرارة :

ـ أنا مخطوبة لرجل لا يعتبرني طفلة . ربما انني لم ازعج نفسي بقراءة أسماء النزلاء في هذا الفندق ، فهل لي . . .

ـ اندريه كونورز

أبلغ الخادم عما يريدانه ، ثم مضى الى القول :

ـ ألا يعترض خطيبك على سفرك بمفردك في مثل هذه المناطق النائية ؟

لماذا يصر على معاملتها كطفلة ؟ ستواجهه بسلاحه المفضل . . . السخرية ! وجهت له ابتسامة عريضة ، وقالت :

ـ انه لا يعترض أبداً على تصرفاتي ، وأنا الآن في طريقي اليه لكي . . . نتزوج .

ـ مبروك . لا تنسي الحساء !

نظرت الى صحنها بانزعاج كبير ، لأن أفكارها تحولت فجأة الى جون . . . والى هذا التأخير السخيف الذي يقض مضجعها ويحز في نفسها . كان من المفترض الآن أن تصل الى مزرعة خطيبها لتعد واياه خطة الزواج ، ولكن الظروف القاسية أرغمتها على الجلوس مع رجل غريب تحرك رجولته الفذة في نفسها مشاعر لم تعرف مثلها في أي وقت سابق . رفعت رأسها نحوه ، فرأته ينظر اليها بطريقة لم تفهم معناها أو تتمكن من تحليل أهدافها . ازداد توتر أعصابها . . . انه ليس وسيماً من الناحية التقليدية المتعارف عليها ، ولكن ملامحه تجمع بين القساوة والاغراء . . . بين الوحشية والجاذبية . ارتعش جسمها للمرة الثالثة ، لأنها سمحت لشخصيته بالتأثير عليها . . . بتلك الطريقة الغريبة . تظاهرت بالابتسام وسألته بهدوء :

ـ هل تعرف منطقة تسمى حوض التماسيح ، يا سيد كونورز ؟

- أعرفها جيداً .
- حقاً ؟ هل تعمل هناك ؟
- في منطقة مجاورة .
- وهل أنت في طريقك الى مكان عملك ؟
هز رأسه ايجاباً ، فكتمت أنفاسها وسألته بصوت منخفض الى حد ما :
- الليلة ؟
- لا ، غداً .
نسيت خوفها منه واشمئزازها من تعجرفه ، فقالت بارتياح بالغ :
- عظيم ! لن احتاج اذن للانتظار حتى يوم الجمعة . يمكنني الذهاب معك و . . .
- لن تذهبي معي الى أي مكان .
- ولكن . . . ولكنك قلت انك ذاهب الى منطقة مجاورة و . . .
توقفت عن اتمام جملتها بعد حلول الارتباك محل اللهفة والسرور ، ثم قالت له بهدوء :
- هل تعني انني غير قادرة على مرافقتك ؟
- حان دوري الآن لتوجيه الأسئلة . لماذا تريدين الذهاب الى حوض التماسيح ؟
- لدي سبب لا يهمك .
- انت التي تطلبين خدمة ، يا آنسة .
- انا في طريقي للقاء خطيبي .
- اسمه ؟
- جون لانج .
- أوه !

- طبعاً .
- لا شك في انه . . . أخبرك عني .
- لا أذكر شيئاً من هذا القبيل .
لم تعد قادرة على تحمل برودته القاسية ، فقالت له بلهجة حازمة :
- ليس ذلك مستغرباً بالنسبة لي ، فخطيبي لا يتحدث عن شؤونه الخاصة لكل غريب يلقاه .
- انه رجل حكيم .
سألته مرة أخرى عما اذا كان يمكنها الذهاب معه الى منطقته القريبة من حوض التماسيح ، فقال لها :
- ألم تسمعي جوابي قبل قليل .
- بلى ، ولكنني أريد الذهاب بأسرع وقت ممكن . سيشكرك جون كثيراً اذا أخذتني اليه .
- هل يعرف انك ذاهبة اليه ؟
- لا ، ولكن . . .
- تصورت ذلك ، والاّ لكان ذكر شيئاً عن أمر بالغ الاهمية . . . كوصول زوجة المستقبل .
- أردت مفاجأته . عندما تأكد لي اضطراري للانتظار حتى بعد غد ، قررت الاتصال بمنطقة حوض التماسيح . . . ولكن خطوط الهاتف مقطوعة بسبب العاصفة .
- اقترح عليك العودة الى مدينتك ، يا آنسة اوبريان .
- استغرب هذا الاقتراح ، يا سيد كونورز ، واؤكد لك بأنني لا أستسلم بسهولة ، وان لم أتمكن من ايجاد أي وسيلة نقل أخرى الى حوض التماسيح ، فسوف انتظر حتى بعد غد لاستقل سيارة الركاب

الكبيرة التي ستمر من هنا .

- كما تشائين .

أخذ اندريه يأكل طعامه البارد بأعصاب هادئة ، فيما كانت سالي تشتعل غيظاً وحنقاً .

ولكن . . . ما بها تعود الى تأمل قامته وثيابه ويديه ، وتجد فيها جميعاً جاذبية وسحراً ؟ تكره صفاته وتصرفاته كلها ، فكيف تسمح لنفسها بتخيل تفاصيل تتعلق به ؟ انها تنفر منه ، ومع ذلك فهو يجذبها اليه . . .

صممت على أكل طعامها وعدم التفكير به ، ولكنها لم تتمكن إلاّ من توجيه السؤال التالي اليه :

- لماذا تصر على الرفض ، يا سيد كونورز ؟

- تصورت أننا انتهينا من هذا الموضوع .

- هل تعتقد أن الرحلة قد تكون قاسية بالنسبة إلي ؟ أنا لست فتاة رقيقة مترفة لا تعرف النوم إلاّ على أسرة من الحرير .

- حقاً ؟ هل هذه هي دعوة لي لاختبار نعومة سريرك ، كي أثبت هذه النقطة بنفسي ؟

حبست الاهانة أنفاسها لحظة ، قالت له بعدها بحدة بالغة :

- كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا الكلام يا سيد كونورز ؟ انتظر حتى اطلع جون على ذلك !

- وهل تتصورين أنه سيشعر بغضب عارم . انضجي قليلاً يا صغيرتي !

صغيرتي ؟ يا للوقاحة ! ها هو يتحدث معها ثانية كأنها طالبة صغيرة ، بريئة ، وغبية !

احست برغبة قوية لتوجيه صفعة الى ذلك الوجه الساخر ، ليعرف هذا اللعين مع من يتعامل ! صغيرتي ؟ انه حقاً . . .

بذلت جهوداً مضنية للسيطرة على أعصابها ، ومنع ذراعها من التحرك باتجاه وجهه . يكفيها ما حصل معها هذا اليوم من صعاب وأزمات ، وتكفيها عداوة رجل واحد مثل مارني كروجر . سيأتي يوم ، وفي المستقبل القريب عندما ستقول للسيد اندريه كونورز رأيها الصريح فيه !

لم يتصرف معها أحد غيره من قبل بمثل هذه الغطرسة والوقاحة ، ولم تضطر مرة واحدة في حياتها الى الرضوخ والاستسلام لأوضاع مريرة كالتي يفرضها عليها هذا الرجل القاسي . . . تباً لهذه الظروف التي ترغمها على ذلك ، وتربك مشاعرها في الوقت ذاته !

احمر وجهها ثم شحب لونه ، عندما نظرت اليه وشاهدت ذلك السحر المميت في عينيه الباردتين . علمت في تلك اللحظة انها لن تقدر على مواجهة نظراته الحادة ، وانها هي التي ستضطر لابعاد نظرها عنه .

وضعت السكين والشوكة على الطاولة بعصبية بالغة ، ثم توجهت بسرعة الى غرفتها . تأملها اندريه كونورز بهدوء مزعج ، بدون أن يتحرك من مكانه أو يتفوه بكلمة واحدة . لم يحاول بذل أي جهد للاعتذار أو . . . لمطالبتها بالبقاء معه . ظل وجهه جامداً كالصخر ، وكأنه يقول لها . . . خيراً ما فعلت .

www.rewity.com ARAYAHEEN

٢- عروس في الشاحنة

بدت الغرفة أصغر مما كانت عليه، وبدت السماء اكثر عبوساً وغضباً. لم تتوقف العاصفة أو تخف، ومع ذلك قررت سالي الخروج من تلك الغرفة الضيقة التي تثير في نفسها المتعبة المزيد من الحزن والانقباض.

سرها كثيراً انها لم تشاهد اندريه كونورز في بهو الفندق أو خارجه، فأعصابها لم تعد قادرة على تحمل مجابهة ثانية معه. ركضت الى الحقول المجاورة، آملة في ايجاد بعض السلوى والعزاء بين اشجارها وازهارها. ولكن الرياح توقفت فجأة. فاصبح الجو خانقاً كما في غرفتها. لم تعد ترى اغصاناً تتحرّك وأشجاراً تتمايل. خيم هدوء مرعب على المنطقة... فما من كلب ينبح أو عصفور يغرد، وكأن

الطبيعة تنتظر هبوب عاصفة اخرى.

احست ببضع قطرات من الماء تسقط على رأسها ووجهها، فقررت العودة الى الفندق قبل هطول المطر بغزارة. ولدى اقترابها من المدخل الخلفي، شاهدت سالي مجموعة قليلة من الآليات بينها شاحنة وسيارة نقل متوسطة الحجم، بالاضافة الى عدد من السيارات العادية التي يعلوها غبار كثيف. لا شك في ان احدى هذه الآليات تخص ذلك الحقير مارني كروجر.

تذكرت فوراً الحادثة المشؤومة، وكيفية انقاذها على يد المتغطرس الآخر اندريه كونورز. يجب ان تشعر نحوه بالامتنان لأنه انقذها من ورطة كبيرة، ولكن تصرفاته السيئة قللت كثيراً من أهمية الخطوة الرائعة التي أقدم عليها. وفجأة، خطرت ببالها فكرة ازعجتها الى حد بعيد! هل تصور أنها تعمدت تشجيع كروجر على مغازلتها ومهاجمتها؟ هل هذا هو سبب اقتراحه لها بالعودة الى بيتها؟ هل اراد حماية جون منها؟ سخرت من هذه الافكار السخيفة وضحكت بصوت مرتفع، فشعرت على الفور بتحسن كبير في معنوياتها. سيمضي هذان اليومان بخير وستذهب الجمعة الى حوض التماسيح... لتتزوج خطيبها.

واصلت طريقها نحو المدخل الخلفي، ولكن حركة ما لفتت انتباهها وحملتها على التوقف مرة اخرى. وما ان استدار الرجل الذي شاهدته منحنياً بين مقود الشاحنة ومقعدها، حتى لاحظت انه... اندريه كونورز. لم ينتبه لوجودها على بعد خطوات قليلة، وعاد فوراً الى الفندق. شعرت سالي باشمئزاز شديد، لأنه يملك شاحنة ضخمة الى هذه الدرجة ويرفض مع ذلك أخذها معه.

مضت الساعات ببطء شديد، وكأن الساعة توازي نهاراً بكامله. حتى القصة التي اختارتها بسرعة قبل ركوبها القطار، بدت سخيفة

ومملة. تساءلت بجدية وموضوعية عما اذا كان من الصواب القيام برحلة طويلة ومرهقة كهذه بدون الاعداد لها مسبقاً بطريقة هادئة ومتزنة! ولكنها لم تكن لتتصور أبداً أن الجزء الثاني من الرحلة سيكون بمثل هذه الصعوبة! استخفت بقلق والديها عليها، إلاّ انها بدأت تشعر انهما ربما كانا على حق في مخاوفهما. هل كانت متسرعة ومتهورة في قرارها؟ الم يكن من الافضل ابلاغ جون عن موعد وصولها الى ستريمز.

وضعت الكتاب جانباً، لأنها لم تكن قادرة على القراءة او التركيز. المطر ينهمر في الخارج، فهل من اي شيء آخر يمكنها القيام به الاّ النوم باكراً؟ خلعت ثيابها وارتدت قميص النوم، ولكن افكارها قررت على ما يبدو حرمانها من الراحة والرقاد. . . اذ انها عادت فجأة للتفكير بأندريه كونورز. ماذا يفعل الآن يا ترى؟ هل يتحدث مع مارني كروجر بسخرية لاذعة عنها، وعن تصرفاتها السخيفة؟ لا، فليس ذلك من طبيعته. قد يكون سيئاً ولكن الثرثرة التافهة ليست بالتأكيد احدى سيئاته. انه يقرأ او يكتب رسالة، او ربما يغط في نوم عميق!

تخيلته نائماً تحت غطاء رقيق، والشعيرات السوداء ترتاح فوق صدره العاري العريض. وعضلاته المفتولة القوية! مهلاً، أيتها الافكار اللعينة! لا يحق لك الانجراف الى هذه الدرجة وراء رجل لا مكان له في حياتي. . . رجل عنيف قاس يثير في نفسي الاشمئزاز والازدراء! انا ذاهبة الى حوض التماسيح. . . الى جون. . . الى خطيبي، الذي سأتزوجه خلال ايام معدودة. اوه! لم تتساءل مرة واحدة عن المكان الذي ستقيم فيه لحين زواجها منه! لا بأس، فهذه مشكلة بسيطة جداً بالنسبة لجون وسوف يجد لها، كعادته حلاً فورياً ومناسباً.

عادت بها الذكريات الى ايام طفولتها، حيث كان جون دائماً جزءاً من حياتها. لم يكن لديها اخ، فقام بهذه المهمة على خير وجه. لم يكن صديقاً عادياً فحسب، بل الاقرب والافضل. اقامت صداقات عديدة طوال سنوات المراهقة، ولكن صديقاتها كبرن وذهبت كل منهن في طريقها. تضاءلت الرسائل والاتصالات الهاتفية تدريجاً، الى ان اخذت تقتصر على بطاقة معايدة او مكالمات نادرة وفقاً للظروف. واليوم، اصبحت اسماء صديقاتها ووجوههن صوراً باهتة متشابكة يصعب تذكرها أو حتى التفريق بينها.

ولكن صداقة جون ظلت مستمرة وثابتة. . . لم تتعثر او تخف او تزول. بدأت صداقتهما، عندما ابتاع والده بيتاً مجاوراً. كانت امه تعمل طوال النهار، فوجد الصبي الصغير الوحيد العزاء والسلوى في بيت جارته سالي. جذبه الدفء والحنان، اللذان كان يشعر بهما في بيتها. وعلى الرغم من السنوات الاربع التي تفصل بينهما، فقد توطدت علاقتهما منذ البداية. . . واستمرت قوية طوال الأعوام التالية لا تشوبها شائبة أو تعكر صفوها ونقاوتها أية أحداث أو تطورات.

أحبت شجاعته واندفاعه، عندما كان يهب للدفاع عنها بمجرد تعرضها لأية مشاكل او مضايقات من بعض الطلبة الآخرين. دأبت على اللحاق به، كيفما تحرك والى حيثما ذهب، ولم تأبه لثرثرة الحاسدين. ولكن اسعد اوقاتها كانت تلك التي امضياها على انفراد، في الحقول والبراري ومع العصافير والحيوانات، علمها الكثير عن هذه المخلوقات، وكيفية معرفة حية الأعشاب المسالمة من الافاعي السامة القاتلة. كان يشرح لها باستمرار كيف يبني العصفور عشه ويربي صغاره، وكيف يجمع النمل طعامه في الصيف ويخزنه للشتاء. تعلمت الكثير عن حياة الحيوان وعاداته، وحاولت دائماً

الاصغاء جيداً وتنفيذ كافة تعليماته وتوصياته.

باح لها بسر مخططاته للمستقبل، وبرغبته القوية لدراسة الطب البيطري ثم قرر في وقت لاحق انه سيسعى جاهداً ليدافع قدر الامكان عن الحيوانات البرية ويمنع صيدها. كبر جون وتبدل وتغير، إلّا ان الصفة الوحيدة التي لا تزال تلازمه حتى الآن هي حبه للحيوان. وبما انها كانت ترغب دائماً في التحدث معه حول الموضوع الذي يستهويه اكثر من شيء آخر، فقد قرأت سالي عشرات الكتب والمجلات الخاصة بالحيوانات.

تخرّج جون طبيباً بيطرياً. وعمل لبعض الوقت كمساعد لأحد أشهر المتخصصين في هذا الحقل. كان يتمتع بعمله الى درجة كبيرة، ولكن حلمه الكبير الذي يراوده منذ صغره لم يتركه. استقال من وظيفته قبل عام تقريباً، عندما سنحت له فرصة للعمل كمشرف على منطقة للحيوانات البرية التي يمنع صيدها.

كانا مخطوبين آنذاك، فطلبت مرافقته الى حوض التماسيح. قال لها ان ذهابها معه منذ البداية ليس امراً حكيماً. عندما يستقر في عمله ويتأكد من مستقبله، سيأخذ اجازة لمدة اسبوع ويعود الى المدينة لكي يتزوجا بحضور الأهل والاصدقاء. قبلت اقتراحه على مضض، لأن الفراق مؤقت ولن يطول. ستستقر اموره قريباً، ويعود اليها ليتزوجا ويعيشا معاً حياة سعيدة.

كانت تمضي نهارها في مدرسة مجاورة، حيث تعلم الاطفال، ثم تعود الى البيت لتساعد امها وتعد ثوب العرس... وتحلم بالرسالة التي ستصلها في اليوم التالي.

كانت رسائله تصلها باستمرار، وبنسبة واحدة او اثنتين كل اسبوع، مشبعة بالاخبار والتفاصيل ومفعمة بالأشواق والمحبة والتلهف. كتب لها عن سعادته الفائقة في تحقيق حلمه القديم...

في حراسة الحيوانات البرية التي تمنحها الطبيعة في تلك المنطقة أهمية تفوق اهمية الانسان.

ولكن عدد الرسائل بدأ ينخفض تدريجاً في الاشهر الماضية، بحيث اصبحت تصلها رسالة واحدة كل عشرة أيام او اسبوعين. لم يقلقها انخفاض العدد، بقدر ما أقلقتها امور اخرى. لم يتذمر جون ابداً من عمله او الاضواع الحياتية في تلك المنطقة النائية، وظلت رسائله مليئة بالأخبار والقصص. ولكن سالي قرأت بين السطور عن انخفاض جذري في حرارة حماسته وشوقه. سألته في رسالة عاجلة عما اذا كان مريضاً، فنفى ذلك بشدة قائلا انه بألف خير. أليس محتملاً انه مريض فعلاً ولكنه لا يريد اقلاق راحتها وتفكيرها؟ في اي حال، ان لم يكن المرض فثمة امر آخر بالتأكيد يعذبه ويحزنه... وعليها بالتالي مشاطرة اخزانه ومشاكله، ومساعدته مادياً ومعنوياً. ستذهب اليه حالا، فهي لم تعد قادرة على تحمل مرارة الانتظار... وهو بالتأكيد سيفرح كثيراً بوصولها المفاجيء.

تململت سالي قليلا في سريرها الصغير، عندما انتبهت فجأة الى انه لم يعرض عليها ابداً فكرة الزواج منه. تولدت لديها تلك الفكرة مع مرور الزمن، وأصبحت امراً مفروغاً منه. احبت جون اكثر من اي شخص آخر في العالم، باستثناء والديها، وكانت تعلم انه يبادلها هذا الحب. اهميته بالنسبة لها ولحياتها كأهمية الذراع بالنسبة للعامل، وحياتهما معاً ستكون مليئة بالحب والحنان والراحة والطمأنينة.

عقدت جبينها فجأة وتقلبت في فراشها، فهذه هي المرة الاولى التي تفكر فيها بمشاعرها الرقيقة الصافية تجاه جون... هل يعقل ان السبب في ذلك هو تفكيرها شبه المتواصل بذلك المتغطرس اللعين اندريه كونورز؟ أراحها هذا السؤال قليلاً، لأن مجرد توجيهه الى

www.rewity.com
RAYAHEENA

نفسها أضاف بعداً جديداً وراسخاً الى اشمئزازها من هذا الرجل... وكرهها له.

لا شك في أن الارتباك الشديد الذي تتخبّط فيه، ناجم عن الاحداث المزعجة التي واجهتها هذا اليوم. لم يتم شيء مما توقعته، لا بل انها فوجئت بأمور كثيرة لم تكن تتوقع حدوثها. اتعبتها مقابلة كونورز مرتين في يوم واحد، اكثر بكثير من هذا التوقف القسري في ستريمز... وحتى من تلك المجابهة المرعبة مع مارني كروجر!

لن تتمكن من النوم هذه الليلة، إلّا اذا أراحت اعصابها وافكارها القلقة والمتعبة. آه، لو كان جون معها الآن ليعيد اليها، كعادته، لطمأنينة وراحة البال! ولكنه موجود في منطقة حوض التماسيح، فماذا ستفعل؟ ستتخيله معها... سترسم له صورة في عقلها وقلبها على حد سواء!

لاحظت بأسى عميق مدى صعوبة هذه المهمة، فالفراق لمدة طويلة والتحول في كمية رسائله ونوعيتها، تركا اثراً واضحاً في نفسها. ولكنها صمّمت على المثابرة والنجاح، وما هي الّا لحظات وجيزة حتى بدأت ملامحه الطيبة المحببة تبرز شيئاً فشيئاً في مخيلتها... الى أن اكتملت صورة الرجل الذي تحبه منذ طفولتها. احست بالارتياح والأمان لوجوده معها حتى على هذا الشكل الخيالي، ولكنها وجدت صعوبة بالغة في الاحتفاظ به، حاولت جاهدة ابعاد الصورة الاخرى التي بدأت تتسلل بقوة الى افكارها، تدك الحصون وتقتحم الاسوار. أفزعتها الابتسامة الساخرة وأرعبها الفم الجذاب، فقاومت الصورة المعتدية بضراوة وشراسة. ولكنها كانت مرهقة الجسم والتفكير، فانهارت دفاعاتها المستميتة بسرعة مذهلة... وحلت صورة الوجه البرونزي القاسي والعينين الباردتين الخبيثتين محل صورة الخطيب البعيد.

استيقظت سالي صباح الخميس، فتبين لها ان السماء لم تعد ماطرة مع انها لا تزال ملبدة بالغيوم. ارتعش جسمها برداً عندما سارت حافية القدمين نحو النافذة، فكادت تقنع نفسها بالعودة الى فراشها... وخاصة لأن الساعة لم تتجاوز بعد السادسة والربع. ولكن الغرفة باردة، والنوم لم يعد وارداً، فما عليها اذن الّا القيام بنزهة قصيرة حتى يحين موعد الفطور. استحمت على عجل وارتدت سروالاً ضيقاً أزرق اللون وقميصاً تناسبه، ثم توجهت من الفندق الى المكان عينه الذي قصدته في اليوم السابق.

ضايقتها الارض الموحلة الى درجة كبيرة، فقررت العودة الى الفندق الصغير. كانت الساحة شبه فارغة، ويدا ان معظم الباعة غادروا منطقة الجداول... ستريمز. لم تلاحظ في تلك الساحة إلّا آليتين... احداهما شاحنة اندريه كونورز. حاولت فتح البابين، فوجدتهما مقفلين. صعدت الى ظهر الشاحنة، وشاهدت الغطاء السميك الذي وضعه كونورز لحماية بضاعته من البلل. اللعين! انه يفكر بكل شيء ويتصرف بحنكة وذكاء!

خطرت ببالها فجأة فكرة مذهلة... وقررت تنفيذها. ماذا سيفعل بها السيد كونورز عندما سيكتشف وجودها لدى وصوله الى مكان عمله القريب من حوض التماسيح؟ تراجعت بضع خطوات عن الشاحنة بمجرد تصورها مدى غضبه وانفعاله، ولكنها سوف تتسلل من تحت الغطاء بخفة ورشاقة... بدون معرفته. وبعد ذلك، ستجد طريقها الى حوض التماسيح. هل هي مغامرة خطرة؟ لا أبداً! فكل ما في الأمر، اذا اكتشف أمر وجودها في شاحنته، انه سيصرخ غاضباً... وقد يشتمها أو يوجه اليها كلمات قاسية!

ليفعل ذلك، فلن يهمها هذا الامر او تبالي به. هرعت الى غرفتها لجمع امتعتها والعودة بسرعة الى الشاحنة، والاختباء تحت الغطاء

المسيك. لن تضطر، لحسن الحظ، الى انتظار الموظف المسؤول عن الفندق لتدفع له ما يترتب عليها. . . فالمبلغ الذي اعطته اياه امس كنوع من الضمانة يكفي اقامتها لمدة يومين. حملت حقيبتها وكيسها وعلبة الحلوى، وسارت بخطى سريعة نحو الشاحنة. ماذا لو شاهدها كونورز أو أي شخص آخر تتسلل مع اغراضها الى الشاحنة؟ كانت الساحة مهجورة تماماً، فنفذت خطتها الخطرة بنجاح باهر. . . على الرغم من توتر اعصابها الشديد وانفعالها المحرج.

لم تشعر بالطمأنينة وراحة البال، إلاّ عندما سمعت صوت المحرك وشعرت بتحرك الشاحنة، نجحت في الامتحان الأكثر صعوبة وخطورة، فبدأت تفكر بأفضل وسيلة تمكنها من الوصول بأقل قدر من التعب والارهاق. وضعت الكيس الذي يضم فستان العرس كوسادة تحت رأسها، وضمت علبة الحلوى الى صدرها كيلا تتدحرج هنا وهناك وتفقد محتوياتها الثمينة. اما الحقيبة الكبيرة، فقد ابقتها في الزاوية القريبة منها لئلا يلاحظ كونورز وجودها. . . في حال توقفه والقاء نظرة على حمولة شاحنته.

ماذا سيقول جون أو والدها، فيما اذا شاهدوها على تلك الحالة أو علموا بما قامت به؟ من المؤكد أن والدتها ستصاب بالذعر والهلع، ووالدها سيضحك حتى يستلقي على ظهره، اما جون، فسوف يكون رد فعله مزيجاً من هذين الشعورين. . . سيشعر بالانقباض والاسى لأنها واجهت جميع هذه المصاعب من اجله، ولكنه سيعجب ايضاً بقدرتها وشجاعتها. ابتسمت بارتياح عندما تصورت نفسها جالسة قرب النار، تخبر حفيدتها الصغيرة عن المغامرة الشيقة التي قامت بها الجدة للزواج من الجد العزيز.

احبست بالنعاس يدغدغ عينيها في تلك الظلمة الحالكة والجو

الدافىء، ولكنها قررت البقاء مستيقظة. . . ومتحفزة للنزول بأسرع وقت ممكن. لم تتمكن من الصمود طويلاً، وما هي الاّ دقائق معدودة حتى وجدت نفسها غارقة في النوم.

فتحت عينيها فجأة، فازعجها ضوء الشمس. اين هي الآن؟ ولماذا يؤلمها ظهرها وتتدلى رجلاها على هذا الشكل؟ اغمضت العينين المثقلتين بالنعاس ثم فتحتهما بسرعة، لتواجه بنظرات ساحرة هازئة وابتسامة رقيقة. انتبهت الى وجودها بين ذراعيه القويتين، والى التصاق وجهها بصدره العريض. اندفعت الدماء بقوة الى وجنتيها فزادتهما احمراراً، وتسارعت ضربات قلبها حتى أصبحت كمحرك سيارة أو قرع طبول. حاولت القفز الى الارض، ولكنه ضغط عليها بقوة وافشل محاولاتها فقالت:

- انزلني فوراً.

- سأنزلك عندما أريد.

ارتعش جسمها خوفاً بسبب تلك النبرة المميزة في جملته القصيرة الجافة، وادركت انها تواجه مأزقاً جديداً لا تعرف كيف ستتخلص منه. ابعدت نظراتها عن عينيه وتطلعت حولها، فلم تشاهد شيئاً الاّ الاشجار والاعشاب. انها وحدها مع هذا الرجل القوي، وفي منطقة نائية معزولة قد لا يكون فيها اي انسان آخر على الاطلاق! افزعتها نظراته وارعبتها ولكنها قررت الاّ تدعه يعرف مدى خوفها وذعرها. قالت له بلهجة حازمة وصارمة، بقدر ما تسمح لها ظروفها الحالية بذلك:

- اكرر طلبي لك بانزالي فوراً!

اجابها بصوت ساخر مهين، زاد من مخاوفها واحمرار وجهها:

- لا يحق للمتسللين ابداً اصدار الأوامر.

جف لعابها في فمها، ولكنها تظاهرت بالقوة والشجاعة وقالت له

بحدة وانفعال:

ـ ثمة متسلل واحد، هو انا، يحق له ذلك.

ضحك الرجل بصوت منخفض يضج سحراً واغراء، فاحست بانفاسه تداعب خديها واذنيها.

قال لها:

ـ انت مخطئة في تقديرك للأمور، لأن تسللك جعلك رهينة بين يدي وسوف تلقين العقاب الذي اقرره.

فتحت فمها لتصرخ بوجهه، قائلة له انه رجل متعجرف قاس، ولكنه اسكتها بقوة وعنف لم تتصورهما من قبل... حتى في الاحلام المزعجة. انذرها عقلها بوجوب التخلص منه والابتعاد عنه باسرع وقت ممكن، فاشبعت صدره ورأسه ضرباً ولكماً. لم يتأثر بضرباتها المتلاحقة ولم يأبه لمحاولاتها اليائسة واكتفى بتشديد الضغط عليها حتى كاد يحبس انفاسها.

رفع رأسه فجأة عنها، وراح يتأمل بعينين قاسيتين باردتين احمرار وجهها وارتعاش فمها... ونظرات الحيرة والارتباك في عينيها الزرقاوين. سحب ذراعه التي يضعها تحت ركبتيها، وقال لها بلهجة قوية آمرة.

ـ الآن... يمكنك النزول.

مارست جهوداً نفسية جبارة لتتمكن من الوقوف على قدميها، فوقوعها على الارض او اضطرارها للاستعانة به سيزيدان من اضعاف موقفها امامه. نظرت اليه ثم ابعدت وجهها بسرعة، وهي تغمض عينيها لاخفاء دموعها. فمع ان تصرفه الوحشي لم يكن الا قصاصاً، فقد اذهلها ذلك الشعور الذي احست به اثناء وجودها بين ذراعيه. قالت له هامسة.

ـ انا... انا آسفة... على هذا الخطأ الذي ارتكبته.

اجابها بشيء من الحدة الجافة:

ـ تأخرت قليلاً لتقديم الاعتذار.

حملتها جملته ولهجته الباردتان على التراجع عن الندم الذي شعرت به قبل لحظات وجيزة، فجففت دموعها بسرعة ثم رفعت رأسها بتحد وقالت:

ـ هل كانت خطوتي غلطة كبرى؟

تأمل جسمها الجميل من قمة رأسها حتى الخمص قدميها، وقال لها بهدوء مزعج:

ـ سأدعك تجيبين على هذا السؤال بنفسك.

ـ رفضت نقلي عندما طلبت منك...

ـ فقررت التسلل، بغض النظر عن المضاعفات والعواقب. هل تقدمين دائماً على كل خطوة تريدين تحقيقها؟

لن تسمح لهذا الرجل المتغطرس بمعاملتها كطالبة صغيرة، لا تعرف شيئاً عن الحياة. ابتسمت بمكر، وقالت له بلهجة التكبر والتعالي:

ـ نعم، عندما أشعر بأنني على حق.

تبدلت ملامحه الى حد ما، وقال:

ـ كنت متأكداً ليلة أمس من انني اقدم خدمة كبيرة لجون برفض احضارك معي.

سألته بصوت هادىء:

ـ لماذا تكرهني الى هذه الدرجة؟

هز كتفيه بكثير من اللامبالاة، وقال:

ـ اكرهك؟ هذا اطراء لنفسك، يا آنسة اوبريان فالكراهية شعور معين بحاجة لنسبة ما من الحماسة والاندفاع. انا لا أكرهك.

اصابت سهامه الهدف، فبرقت اسنانه البيضاء خبثاً ودهاء،

واضاف قائلاً:

- لنقل فقط انني لا احب رؤية حياة شاب طيب تتحطم على صخرة العذاب والالم.

اشتعلت سالي غضباً، وصرخت بوجهه قائلة:

- هل تعتقد انني شجعت ذلك الشاب الاحمق امس؟ هل تعتبرني انسانة غير عفيفة.

نظر اليها بعينيه الفولاذيتين، وقال:

- لا اعتقد انك افضل من بنات جنسك يا آنسة اوبريان. فالمرأة عادة تستغل الرجل لتحقيق مآربها.

توقفت برهة، فتساءلت عما حدث لهذا الرجل حتى اصبح يكره النساء ويحتقرهن. مضى الى القول:

- اما بالنسبة الى جون، فاعتقد انه لا مكان في حياته لفتاة صغيرة عنيدة مثلك.

حبست انفاسها لشدة انفعالها وتأثرها، ولكنها ستمارس ضبط النفس الى اكبر درجة ممكنة كيلا تتعرض الى المزيد من اهاناته وسخريته القاسية. قررت بسرعة ان الصمت بكرامة سلاح اكثر فاعلية وتأثيراً من الانتقام الكلامي.

استدارت نحو الشاحنة، ومشت اليها بشموخ وانفة. وعندما حملت حقيبتها في يد وثوب الزفاف في اليد الاخرى، سمعت صوتاً يقول:

- العذراء الغاضبة تجمع امتعتها!

- الم يكن هذا ما اردته انت، يا سيد كونورز؟

- يبدو ان الامور التي اريدها لم تعد ذات اهمية تذكر.

حملت سالي القطع الثلاث، وبدأت تسير بعيداً عن الشاحنة. هز الرجل رأسه باستخفاف، وقال لها:

- الى اين، يا آنسة؟

- سأعود الى الفندق وانتظر حتى الغد، لكي اتوجه الى حوض التماسيح.

- اشك في ذلك. هل لديك اي فكرة على الاطلاق عن مكان وجودنا الآن، يا آنسة اوبريان؟

- لا، ولكن لا داع لقلقك. سأعرف كيف اجد طريقي، يا سيد كونورز.

ابتسم الرجل، وهو يأخذ امتعتها من يديها، ثم قال لها:

- يقع فندقك الصغير، يا آنسة، على بعد خمسة وعشرين كيلومترا.

- هل... هل ابتعدنا عنه الى... الى هذه الدرجة؟

- نمت فترة طويلة على ثوب الزفاف الجميل، ايتها الصغيرة، هيا، اصعدي الى الشاحنة.

٣ ـ النار والفراشة

نظرت اليه باستغراب ، وسألته بصوت مرتجف الى حد ما :

ـ هل تعني انك ستأخذني معك ؟

ابتسم فجأة ، فلاحظت بعض الدفء في عينيه القاسيتين وقالت لنفسها انه يكاد يبدو كرجل لديه صفات طيبة . أجابها بلهجة جريحة :

ـ حرمني تسللك حرية الاختيار . فحتى أنا لا يمكنني ترك شابة جذابة مثلك هائمة وحدها في هذه البراري والأدغال .

انطلق سؤال من فمها قبل تمكنها من حبسه داخل أفكارها :

ـ هل تجدني حقاً جذابة ؟

ابتسم اندريه عندما شاهدها تضع يدها على فمها مذعورة من

تسرعها ، وقال لها بصوت رقيق ناعم :

ـ هل ترغبين في أي اثبات لذلك ، يا آنسة اوبريان ؟

توترت أعصابها بصورة مخيفة ، وقالت له :

ـ لا ! في أي حال ، أريد قبل صعودي الى الشاحنة وعداً صريحاً منك بأنك لن تلمسني أو تقترب مني .

نظر اليها بعينين ثاقبتين ، ثم ابتسم بمكر الثعالب وقال :

ـ افهمتك سابقاً ان المتسللين لا يحق لهم اصدار الأوامر . ستأتين معي حسب شروطي أنا .

ـ لا يمكنك ابداً ارغامي على . . .

اختنقت بقية كلماتها في حلقها ، عندما أمسك بكتفيها وجذبها نحوه بقوة . إلاّ أن ردّ فعلها كان أسرع من ذي قبل ، فأبعدت وجهها عنه ورفعت يدها لتصفعه . تصرفت بسرعة . . . ولكنه كان أسرع منها ، وأقوى بكثير . تصدى ليدها المرتفعة قبل وصولها الى هدفها ، وحشرها بين جسميهما الملتصقين بحيث لم تعد قادرة على تحريكها . توجهت يده الأخرى في اللحظة ذاتها الى شعرها ، وشدها اليه بعنف ، فازداد خوفها ، وشعرت بأن كرامتها طعنت في الصميم ، فتمرّد عقلها وثارت أفكارها في مواجهة هذا الاعتداء الصارخ . ولكن الموقف أيقظ في نفسها مشاعر غريبة ومؤلمة . وبدأت تتجاوب وتلين . واحست بأنها أصبحت معلقة بين الأرض والسماء وما ان ارتفعت ذراعاها لتطوقا عنقه ، حتى أبعدها عنه بعصبية أذهلتها وحدة أفزعتها . وجه اليها نظرات حارقة وقال :

ـ اعتقد ان وجهة نظري صحيحة .

ـ وجهة نظرك . وما هي ؟

ـ المهم ، هناك نقطة بسيطة واحدة هي أن الرحلة ستتم وفقاً لشروطي أنا ، دونما أي اعتراض أو تعديل .

www.rewity.com KRAYAHEENA

في تلك اللحظات المعدودة التي توقف فيها الزمن واستجابت كافة مشاعرها وأحاسيسها لرجولته القوية المهيمنة ، نسيت سالي الهدف الحقيقي لكلامه وتصرفاته . ولكن جملته القاسية تلك أعادتها الى الأرض باذلال مهين ، لم تكن تتصور أنه قد يحدث لأي انسان في العالم ما حدث لها . أحست في هذه البرهة بالذات أنها . . . تكرهه . قالت له وهي تهم بالصعود الى الشاحنة :

ـ تساعدك قوتك الوحشية وفظاظتك العنيفة في تحديد الشروط التي تريدها .

ـ ستجلسين قربي .

ارتعش جسمها قليلاً وكأنه لا يزال واقعاً تحت تأثير تلك اللحظات المجنونة ، وقالت له بانفعال وبدون الالتفات اليه :

ـ أفضل مواصلة الرحلة كما بدأتها .

قال لها متوعداً بلهجة ناعمة :

ـ هل تريدين أن أسلمك الى حبيبك ، وأنت مصابة بصدمة عنيفة . . . وبعض الكدمات ؟ تعالي وتوقفي عن المجادلة . انت تعرفين الآن من منا يصدر الأوامر .

قالت له بعد جلوسها قربه في المقدمة :

ـ ارجو ألاّ تستخدم معي هذه اللهجة يا سيد كونورز .

ضحك فجأة ، وقال :

ـ انها تناسب مزاجك الحاد وطبيعتك الاندفاعية .

احمر خداها قليلاً واستعدت للرد عليه بلهجة قاسية ، فمضى الى القول :

ـ ها أنت على وشك التصرف وفقاً لما وصفتك به . سأناديك بالهرة الشرسة طالما انك حادة الطباع وسريعة الغضب . وعندما تتصرفين بهدوء وروية ، ولن يكون ذلك إلاّ نادراً حسبما اعتقد ،

فسأعود عن هذه التسمية واستخدم اسمك الجميل سالي .

ثم ابتسم ثانية ، وأضاف قائلاً :

ـ استخدمي معي اسمي الأول اندريه ، فالشكليات والرسميات لا تناسب رحلة كهذه .

ألا يمكنه مرة واحدة على الأقل أن يتحدث معها بلهجة عادية مهذبة ؟ لماذا لا يطلب منها شيئاً إلاّ بصفة الأمر ؟ ألا يتوقع أبداً أي عصيان أو تمرد على أوامره وتعليماته ؟ ماذا يعتبر نفسه هذا المتسلط المتكبر ؟

تأملته جيداً ، في محاولة يائسة لتحليل شخصيته والدخول في أعماق تفكيره . ولكنها أدركت عدم جدوى ذلك . . . بسبب تلك الجدران القوية العالية التي يرفعها حول ذاته وكيانه ، ويستحيل بالتالي اختراقها أو حتى الاقتراب منها . التفت نحوها باسماً وكأنه قرأ افكارها أو سمع التساؤلات التي تتصارع في رأسها . . . وقلبها . أبعدت سالي وجهها عنه بسرعة ، كيلا تقول شيئاً قد تندم عليه في وقت لاحق .

كانت الشاحنة منطلقة بسرعة كبيرة ، وهدير محركها يصم الآذان . لم يتحدث السائق ومرافقته اطلاقاً ، فالتطورات المثيرة والمتلاحقة التي حدثت بينهما خلال يوم واحد لم تعد تسمح لهما بتبادل أحاديث عادية كأي شخصين مسافرين معاً .

تعمدت إبعاد نظرها وأفكارها عنه ، وحاولت التركيز على تأمل الطبيعة وجمالها الساحر . أطاعتها عيناها ، ولكن تفكيرها رفض الرضوخ لأوامر العقل . ابتعدت عنه قدر الامكان ، وعن نار جاذبيته واغرائه . ولكن الفراشة لا تقدر على الابتعاد عن اللهب والاحتراق ، حتى ولو علمت مسبقاً بالمصير المشؤوم الذي ينتظرها . تباً لهذه المشاعر المجنونة ، وهذا التجاوب اللعين في أحاسيسها

الغيبة !

كم تبعد ، يا ترى المزرعة التي يقيم فيها اندريه عن حوض التماسيح ؟ لا شك في انها ليست بعيدة ابداً ، والا فكيف قامت صداقة بين الرجلين ! ولكنها تمنت عكس ذلك تماماً ، لأنها لن تتحمل رؤيته بشكل متواصل . سوف تضطر لبذل جهود جبارة كي تتمكنّ من التحدث معه بلهجة مهذبة ، فهي تكرهه وتنفر منه ومن تصرفاته . كذلك فانها لن تقدر على مواجهته بدون أن تتذكر سحره ورجولته .

ضايقها تحليلها وأزعجها الى درجة كبيرة ، فهي في طريقها الآن للزواج من الرجل الذي أحبته منذ صغرها . . . ومع ذلك فقد سمحت لنفسها ولمشاعرها بالانجراف وراء أحلام وأوهام . لم تكن لتصدق أبداً انها ستتأثر الى هذا الحد بأي رجل غير جون . اشتاقت كثيراً الى لمساته وحبه وحنانه ، ولكنها لا تذكر انه اثارها مرة واحدة مثلما فعل اليوم هذا الرجل المتعجرف القاسي . صعقت بقوة عندما تبين لها مدى انجذابها نحو اندريه كونورز . قد تعتبره اسوأ رجل في العالم ، ومع ذلك فهي مضطرة للاعتراف ضمناً بانها شعرت معه بسعادة فائقة لم تكن لتحلم بها اطلاقاً .

أين هي قوة ارادتها ؟ ستضعها الآن على المحك ، فهذه فرصة لا تفوت للتأكد من قدرتها وصلابتها . انها التجربة الحقيقية الأولى في حياتها ، وقد فرضت عليها فرضاً . . . ومن واجبها الخروج منها منتصرة على مشاعر عابرة لا تدوم .

فتحت عينيها فجأة ، فلاحظت أنهما يعبران طرقات جبلية وعرة وأن السهول الفسيحة التي كانت تمتد أمامها الى مسافات شاسعة قد اختفت تماماً عن الأنظار . جبال عالية وأودية عميقة ، وكل منعطف جديد يحمل معه مناظر خلابة أكثر من الذي سبقه ، كان

واضحا أن اندريه سائق ماهر ، يسيطر على شاحته الضخمة بطريقة تثير الاعجاب وتدخل الطمأنينة الى النفس .

استوت الطريق بعد قليل ، وبدأت سالي تلاحظ كثافة المزروعات على الجانبين . . . فتأكد لها اقترابها من حوض التماسيح . ولكن اندريه أوقف الشاحنة فجأة ، وبصورة أدهشتها وأثارت استغرابها . لم يقل شيئاً ، بل ضرب المقود بيديه ثم فتح بابه وقفز من الشاحنة . تطلعت سالي الى الأمام ، فشاهدت جسراً صغيراً تندفع المياه فوقه بقوة وسرعة . . . بحيث لا يمكن عبوره بدون مواجهة بعض الأخطار المحتملة . لحقت به وسألته بانفعال :

ـ هل تشكل المياه مشكلة كبيرة ؟

لم يرفع نظره عن الجسر ، عندما أجابها :

ـ ألا ترين ؟

قالت له بلهجة هادئة ، وكأنها واثقة من قدرته على تخطي المشكلة :

ـ ولكن شاحنتك الكبيرة لن تتأثر بهذه الكمية القليلة من المياه .

أدار وجهه نحوها للمرة الأولى منذ فترة طويلة ، وسألها متهكماً :

ـ هل أنت خبيرة في هذه الأمور ؟

لم تقدر على منع الاحمرار عن خديها ، ولكنها تمكنت من التحديق بعينيه والقول له بتحد واضح :

ـ لم أكن اتصور أن مشكلة بسيطة كهذه قد تقف عائقاً في وجهك .

ـ من المؤكد أنها لن تعيقك انت ، لأنك من اولئك الأشخاص الذين يندفعون الى الأمام بتسرع وتهور . . . وبدون التفكير بعواقب الأمور أو المخاطر .

تجاهلت سخريته اللاذعة ، وسألته بصوت يكاد يرتجف قلقاً :

- هل... هل تعتقد حقاً... بأن عبور هذا الجسر قد يشكل... خطراً علينا ؟

- لن أتأكد من ذلك ما لم أعرف عمق المياه .

اقتطع غصناً كبيراً من شجرة قريبة ، ثم أنزله في الماء الى أن ارتطم بالجسر . ومع أن نظراته الغاضبة كانت كافية لمعرفة النتيجة ، إلاّ انها أصرت على سماع الجواب النهائي . سألته بتردد :

- هل يمكننا العبور ؟

- كلا .

صمتت لحظة ، ثم سألته ثانية :

- الا توجد طريق اخرى ؟

ضحك فجأة وقال :

- الحياة مليئة بطرق اخرى .

- يجب تجاوز هذا الجسر اذن ، مهما كانت الظروف .

- سنضطر لقطع مسافة تبلغ حوالي ثلاثمئة وخمسين كيلومتراً .

- مستحيل !

- هل لديك أي اقتراح آخر ؟

- يمكنك المجازفة بعبور الجسر .

- انسي هذه الفكرة كلياً في الوقت الحاضر .

تأكد لها من لهجته الحازمة انه لن يعود عن قراره هذا ، حتى تنحسر المياه الى المستوى الذي يقبل به . تأملته طويلاً ، ثم قالت له بصوت رقيق ناعم :

- انت خائف علي ؟

- ها قد عدت لتوجيه المديح والاطراء الى نفسك ، أيتها الحرة الشرسة ، المتسللون لا يستحقون العناية والاهتمام من أحد ، ما يهمني في المقام الأول هو سلامة معداتي .

تألم قلبها من تلك الطعنة الحاقدة التي وجهها اليها لسانه السليط ، وشعرت برغبة جامحة لتوجيه صفعة قوية الى وجهه اللعين .

رددت كلمته الأخيرة بذهول بالغ :

- معداتك ؟ معداتك ؟

- نعم ، معداتي الموجودة تحت ذلك الغطاء السميك . هيا بنا .

- لا . . .

ركضت وراءه وأمسكت بذراعه لمنعه من الصعود الى الشاحنة ، قائلة :

- لدي فكرة لا بأس بها .

استدار نحوها ، وقال لها بشيء من الجدية :

- حسناً ، لنسمعها .

- سأسير أمام الشاحنة وأرشدك الى الطريق .

لم يسارع الى التهكم عليها ، فشعرت بوجود بصيص من الأمل وأضافت بحماسة :

- انا قادرة على ذلك ، يا اندريه ! صدقني ، سأقدم على هذه الخطوة بدون أي تردد !

- ألن تخافي ؟

- لا ، أبداً ! أوه ، بلى ، سأخاف قليلاً . . . ولكنني مستعدة تماماً للقيام بذلك .

لمع في عينيه بريق لم تتمكن من تفسيره ، مع انه جعل جسمها يرتعش قليلاً ونبضها يتسارع الى حد ما . ثم قال لها :

- اعتقد انك ستفعلين ذلك ، فيما لو سمحت لك ، ولكن الجواب سيظل على حاله . هيا بنا ، يا سالي .

أوه ! ناداها باسمها الأول ولم يستخدم ذلك التعبير المزعج . . .

المرة الشرسة ! لا شك في انها قالت شيئاً أعجبه ، أو تصرفت على نحو ارتاح اليه . أحست بدفء يغمر قلبها ومشاعرها ، كنتيجة فورية لذلك التحول المفاجيء في اسلوبه . . . ونظراته . أدار محرك الشاحنة بعد صعود سالي الى جانبه ، ثم قام ببعض المناورات الذكية والجريئة في وسط الطريق وعلى جانبيها الى أن أصبح الجسر وراءهما . سيعودان الآن الى ستريمز ليتحولا فيما بعد إلى طريق أخرى تسمح لهما بتجاوز هذا الجسر اللعين . لن تصل الى حوض التماسيح إلاّ في وقت متأخر جداً ، اذ لا يمكن لشاحنة ضخمة كهذه قطع مسافة تزيد على ثلاثمئة كيلومتر بأقل من خمس ساعات . . . مهما كانت الطريق خالية والسائق ماهراً .

وفجأة ، خطرت ببالها فكرة جديدة أزعجتها وضايقتها الى درجة كبيرة . كيف يمكن لرجل واع قدير مثل اندريه كونورز الاّ ينتبه لأحوال الطرق التي يعرفها جيداً ؟ سألته بهدوء يخفي قلقاً وتوتراً :

ـ ألم تكن تعلم بوجود ذلك الفيضان ؟

ـ لا ، فقد أبلغني الموظف المسؤول في الفندق بأن العبور ممكن .

ـ ولكنك كنت تعرف أن أمطاراً غزيرة هطلت في الأيام الماضية !

تأمل وجهها بعض الوقت ، ثم قال لها :

ـ طبعاً ، ولكني كنت غائباً عن المنطقة لأكثر من اسبوع . وثقت بكلام الموظف عندما أبلغني أن مستوى ارتفاع مياه النهر انخفض الى نسبة تسمح بعبور الجسر .

كيف يمكنها مجادلة هذا الرجل وهو يتحدث بأسلوب منطقي متزن ؟ التهور لا يعني الشجاعة ، والتطرف في المغامرة والمجازفة ليس دليلاً على القوة والرجولة . لم تعلق بشيء على كلامه ، اذ انها بدأت تفكر بالرحلة الطويلة التي تنتظرها ابتداء من ستريمز . وما هي الاّ لحظات ، حتى تحول اندريه كونورز بشاحنته عن الطريق الرئيسية

الى اخرى جانبية ترابية ، سألته سالي ، وهي تعلو وتهبط بسبب الارتجاجات القوية المتواصلة :

ـ هل هذه هي الطريق التي سنستخدمها لتجاوز الجسر ؟

ـ نعم ، ألست سعيدة لأنك جالسة هنا عوضاً عن التمدد على ظهر الشاحنة ؟

لم تكن بحاجة لتوجيه سؤالها ، كي تعلم مدى العذاب الذي كانت ستواجهه فيما لو سمح لها بالصعود الى ظهر الشاحنة . ولكن سخريته اللاذعة لم تكن ضرورية أبداً ! لا شك في أنها أخطأت كثيراً في تقييمها لهذا الرجل ، عندما كانا قرب الجسر . فهو بعيد كل البعد عن الانسانية والرقة والنعومة ، ولا يستحق إلاّ الاحتقار ! انه قاس ومتسلط ومتعجرف ، وقادر على أن يكون فظاً ومتوحشاً للغاية في أعماله وتصرفاته !

لاحظت سالي انه يركز نظره واهتمامه على الطريق الوعرة ، ومع ذلك فقد أحست انه يقرأ أفكارها ويعرف حقيقة مشاعرها . لا ، لن تسمح له بذلك مهما كلف الأمر . قررت الرد عليه ولو بعد حين ، فرفعت رأسها وقالت :

ـ لا فرق عندي بين الجلوس هنا أو على ظهر الشاحنة .

ضحك بتلك الطريقة المغرية التي أصبحت مألوفة لديها ، وقال :

ـ طفلة صغيرة ، تأكدي من حسن تصرفك ، أيتها الهرة الشرسة وإلا فقد تجدين نفسك مرة أخرى تحت ذلك الغطاء السميك .

ها انه يعود الى هذه التسمية المزعجة ! ولكن . . . هل هي حقاً مزعجة وتثير أعصابها واشمئزازها لا ؟ فالغريب في الأمر أنها بدأت تعجبها الى حد ما . . . مع انها لن تدعه يعرف ذلك اطلاقاً .

أدارت وجهها نحو النافذة ، وراحت تتأمل تلك الحقول الخضراء

التي تمتد الى ما لا نهاية . المناظر الطبيعية خلابة وتدخل البهجة والسرور الى القلوب الحزينة المعذبة ، ولكن الوحدة بشعة مؤلمة وتذكر الانسان بانه معزول وغريب . لم تشاهد جراراً زراعياً أو مزارعاً ، ولم تسمع غناء راع أو ثغاء شاة . هل سيتابع طريقه بدون توقف ، أم سيمضيان الليل في فندق صغير ليواصلا الرحلة صباح اليوم التالي ؟ واذا قرر ذلك ، فكيف سيكون رد فعل جون على وجودها وحيدة مع اندريه ؟ انه رجل واع ومنطقي ، ومن المؤكد انه سيتفهم وضعها ومشكلتها .

ولكن الطريق ازدادت وعورة ، وتضاءلت معها الى درجة مرعبة احتمالات ايجاد فندق يبيتان فيه حتى الصباح ، أحست بتوتر شديد في أعصابها ، فاق الى حد كبير الارهاق العاطفي الذي تعاني منه . التفتت نحو اندريه مرتين لتوجه اليه سؤالاً بسيطاً للغاية ، ولكنها لم تتمكن في أي منهما من حمل نفسها على ذلك . سيجيبها بسخريته المعهودة ، وبطريقة لا تمكنها من الرد عليه . صممت سالي على البقاء صامتة الى أن تعرف ماذا سيفعل ، وعندها فقط ستتخذ القرارات المناسبة .

ظهرت الجبال مرة أخرى أمام عينيها المتعبتين ، ولم يبد بعد أي أثر لقرية أو بيت أو . . . انسان فازداد قلقها وارتباكها وانقباضها ، فأخذت تعاتب نفسها بقوة على القيام بهذه الرحلة اللعينة . ألم يكن من الأفضل لها البقاء في ستريمز حتى يوم غد ؟ اللعنة على تسرعها ، وعلى قرارها الأرعن بالتسلل الى شاحنة اندريه ! لم تتبادل واياه أي حديث على الاطلاق ، منذ تلك الكلمات القليلة القاسية حول المقارنة بين مقعد الشاحنة وظهرها . ولكنها كانت تشعر بين الحين والآخر انه ينظر اليها خلسة . . . ويسخر من قلقها وانزعاجها .

غابت الشمس وبدأت جيوش الظلام تزحف بسرعة ، فيما

أخذت فلول النهار تتراجع . . . وتختفي عن الأنظار . أوقف اندريه الشاحنة فجأة ثم فتح بابه وتطلع نحو سالي بعينين سوداوين براقتين . قالت لنفسها انه يريد اعادة النشاط والحيوية الى رجليه اللتين أتعبتهما بالتأكيد قيادة شاحنة كبيرة مثل هذه المسافة الطويلة . . . والاّ فما من سبب آخر يدفعه الى التوقف في هذا المكان بالذات ! ولكنها أحست بغصة عندما رأته يوقف المحرك وينزل من الشاحنة ، تظاهرت بأنها لا تشعر بأي انفعال أو . . . خوف ، وقالت بهدوء :

- استغرب توقفنا في هذه المنطقة المهجورة .

- حقاً ؟ اعتقد انها اختيار مناسب للغاية ، اذ فيها كل شيء نحتاج اليه . . . بما في ذلك مياه الشرب الصافية ، التي يمكن استخدامها لاعداد الشاي . . . والاغتسال .

- تعني . . . تعني اننا . . . لا . . .

اختنقت الكلمات في حلقها ، فقال لها ما كانت تخاف منه وتخشاه :

- سنمضي الليلة هنا ، يا صغيرتي . هيا انزلي وتحركي قليلاً .

- لا ! لا ، لن امضي الليلة هنا !

لم يأبه للهجة التحدي القاسية ، وسألها ببرودة :

- هل تعرفين مكاناً أفضل من هنا ؟

- أي فندق مع غرفتين منفصلتين .

قال لها بكثير من الهدوء والارتياح ، وكأنه يتمتع بذعرها وعذابها :

- كلمة فندق غير معروفة في هذه الأدغال والبراري .

- ولكن . . . ولكن جون سيشتعل غيظاً وحنقاً .

- هذا أمر يتعلق بكما، أنت وحبيبك. انا لم أطلب منك أو اسمح

لك بمرافقتي . سأتمشى قليلاً قبل العشاء . اذا أردت التحرك قليلاً ، فهيا بسرعة وبدون تردد .

لاحظت سالي انه لم ينتظرها أو يعر رغباتها أي اهتمام على الاطلاق ، فتأكد لها أن أي محاولة للاعتراض أو الاحتجاج ستكون عقيمة وفاشلة . لحقت به رغماً عنها . فرجلاها بحاجة للرياضة والبقاء على انفراد أصعب بكثير من وجودها مع . . . أي شخص آخر . . . حتى اندريه كونورز ! كان الصمت مطبقاً ورهيباً ، بعد توقف المحرك ، ولم يقطعه الاّ صراخ طائر وحيد حلق فوقهما برهة . . . ثم اختفى . لماذا لم تختف معه هذه الأفكار السوداء التي تضج في رأسها وعقلها . . . وقلبها ؟

لم تعد خائفة مما سيقوله جون ، لأنه انسان عاقل وحكيم . . . ومستعدلتفهم الأمور على حقيقتها . ولكنها خائفة من نفسها ، ومن هذا الرجل الذي يلهب مشاعرها ويثير أحاسيسها ! ماذا سيفعل ، وكيف سيتصرف ؟ هل سيحاول التحرش بها ، وهي في هذا الوضع الضعيف الذي لا يسمح لها بالدفاع عن نفسها ؟ لا ، لا يمكن للرجل الذي أنقذها من مارني كروجر أن يتصرف مثله ! ومع ذلك ، فعليها أخذ جانب الحيطة والحذر . . .

وصلا الى جدول تتدفق منه المياه الصافية النقية ، لتتجمع في بركة صغيرة تحيط بها الصخور والأشجار . دهشت عندما شاهدت اندريه ينحني فوق الماء ليشرب ويغسل وجهه ويديه . سألته عما اذا كانت المياه نظيفة فقال لها :

ـ تماماً . جربيها .

كانت الدعوة مغرية الى حد كبير ، ولكن خوفها من الأمراض التي تنجم عن شرب المياه غير المعقمة في مثل هذه المناطق الحارة جعلها تحجم عن تلبية الدعوة . سألته عن أحد هذه الأمراض ،

وهو البلهارسية ، فابتسم وقال :

ـ أنت محقة كثيراً في تخوفك من هذا الداء بالذات ، ويسرني أنك تعرفين عنه وتحاولين تجنبه . ولكن هذا الجدول بالذات خالٍ تماماً من أي امراض أو أوبئة .

لم يعد ثمة داع لتوجيه سؤال آخر ، فهو رجل لا يقول شيئاً ما لم يتأكد منه . . . ولا يقدم على أي خطوة اذا كان يشك في صحتها أو سلامتها . شعرت بارتياح كبير عندما غسلت وجهها وذراعيها بتلك المياه الباردة المنعشة ، وقالت له ممازحة :

ـ اني اتضور جوعاً ، يا اندريه ، وآمل في أن يكون المطعم القريب مزوداً بأطيب المأكولات وأشهاها .

أمسك بعنقها قائلاً :

ـ انك أكثر المتسللين الذين أعرفهم جسارة وتطلباً .

نسيت ارتياحها ومرحها ، وقالت له بصوت مخنوق :

ـ حقاً ؟

ـ وأجملهم أيضاً .

حرمتها قساوته من بهجة التمتع بتلك الجملة الرائعة ، فكررت القول انها جائعة الى درجة كبيرة . ابتسم وقال لها :

ـ حسناً ، فأنت تستحقين ذلك لأنك واجهت هذه الرحلة الشاقة حتى الآن بشجاعة وقوة . ولكنك تشعرين أن من واجب الآخرين السهر على راحتك وخدمتك ، أليس كذلك ؟

أبعدت رأسها عنه بهدوء وروية كيلا تغضبه ، ثم سألته بلهجة صادقة :

ـ لماذا تكرهني يا سيد كونورز ؟

ـ يبدو انك تحبين التمثيل المأساوي ، انا لا اكرهك ، يا صغيرتي وقد قلت لك ذلك أمس .

ـ ولكنك لا تعتبرني زوجة مناسبة لجون !

ـ تماماً .

لاحظ غيظها وانفعالها ، فمضى الى القول :

ـ لا داع لاستخدام مخالبك ، أيتها الهرة الصغيرة ، ففكرتي هذه لن يغيرها اي شيء ستقولينه لي . والآن . . . ماذا تفضلين للعشاء ؟ اللحم المشوي أم المقلي أم المطبوخ ؟

٤ ـ شاحنة الغرام

لم تجبه ، فكرر السؤال بلهجة جدية وحازمة . قالت له انها مستعدة لكي تأكل طعام موجود او يسهل اعداده . اصر على معرفة النوع الذي تريده . فاختارت اللحم المشوي .

راقبته سالي بعينين غاضبتين وهو يتوجه الى شاحنته لاحضار ما يلزم ، وتمنت لو انه ليس ذكياً وعملياً الى هذه الدرجة . لا بدّ لها من الاعتراف رغماً عنها بانه واثق جداً من نفسه ويعرف تماماً كيف يواجه كافة الأمور ويسيطر عليها . لا شك في انه قادر على التحكم بكل شيء يتعلق به . . . كشاحته وحصانه و . . . وحتى النساء في حياته !

ومن المؤكد ان لديه تاريخاً حافلا في هذا المضمار ، فاسلوبه

الناجح في معاملة المرأة يثبت ذلك بشكل قاطع. ولكن... الا يمكن مثلا ان يكون متزوجاً؟ واذا صح هذا الأمر، فمن هي تلك الغبية المسكينة التي رضيت بالزواج منه؟

جمع بعض الاحجار المختلفة الاحجام، واعد منها موقداً صغيراً، ثم اشعل النار. بينما كانت سالي تسأل نفسها: لماذا يثبت لها بانه قادر على فعل اي شيء؟ لماذا يتحداها بقدرته ورجولته؟ ما الذي يخفيه وراء شخصيته الغامضة؟ انها لا تعرف عنه شيئاً حتى الآن. هل هو عامل بسيط؟ هل يملك مزرعة؟ لا شك في ذلك، فهو من اولئك الرجال الذين لا يقبلون بسيطرة الآخرين عليهم.

ستعرف كل شيء عنه، بعد وصولها غداً الى حوض التماسيح. سيطلعها جون على كافة التفاصيل التي تريدها. ولكن... هل ستظل مهتمة به غداً كما هي اليوم؟ لا، لا يمكن ففرحها بلقاء خطيبها بعد هذا الغياب الطويل سينسيها اندريه كونورز وجاذبيته اللعينة. ستخصّص معظم وقتها وطاقاتها استعداداً لزواج مبكر عاجل، بحيث تزول اهمية اندريه ويتحول الى مجرد شخص اوصلها الى خطيبها.

أوه! متى سيأتي هذا الغد البعيد؟ الى متى ستظل اللحظات الحالية الواقع الوحيد في حياتها وكأنه فترة زمنية لا تعرف بدايتها او نهايتها؟ اللعنة! ما بالها لا تفكر الاّ به؟ هزت رأسها بعصبية بالغة، علها تتمكن من التفكير بأي شيء آخر.

رفع اندريه رأسه نحوها في تلك اللحظة بالذات، فارتعش جسمها وضعفت ركبتاها. بدائيته... شراسته... وسامته... جاذبيته... نظراته... اجتمعت كلها خلال نظرة واحدة، فأثارتها وأذابتها. ابتسم وكأنه يشعر بما تعانيه، ثم قال:

- العشاء جاهز.

استعادت انفاسها بصعوبة، وقالت:

- شكراً... شكراً لك.

- ما هذه الرسميات فجأة يا صغيرتي؟

- ليست رسميات، بل مجرد تهذيب.

- وهل هو التهذيب ايضاً الذي يجعلك تجلسين بعيدة عني الى هذه الدرجة؟ لديّ اقتناع شبه راسخ بأنك تخافين مني.

طعنت انوثتها وكرامتها حتى الصميم، وقالت له بحدة فائقة:

- اندريه كونورز! انت رجل لا يطاق بشكل لم اعرف له مثيلاً في حياتي!

قال لها بنبرة لا تدل على أي شعور بالندم:

- يبدو انك كنت مرتبطة بمعسولي الألسنة فقط.

حاولت اجابته على الفور، فتابع قائلاً:

- لا تقلقي ايتها الهرة فلن يؤدي ذلك إلاّ الى زيادة مشاكلك. هل تعجبك رائحة اللحم المشوي؟

تمتمت بلهجة قاسية وعنيفة:

- انها تكاد تخنقني.

ارتعشت عندما سمعت تلك الضحكة الخفيفة، التي تثير أعصابها وتلعب بمشاعرها. أكلت أول قطعة، وهي تلعن هذا الرجل الكريه والطعام الذي اعده! لو لم تكن خائرة القوى بسبب الجوع الرهيب، لما اكلت او سمحت لنفسها حتى بالاقتراب من هذا الطعام. ولكنها لم تأكل شيئاً منذ الليلة السابقة، ولن تتمكن من تناول أي طعام صباح اليوم التالي.

كان العشاء شهياً للغاية! لا بدّ لها من الاعتراف بذلك، على الرغم من العداء الذي تكنه نحو هذا الرجل. كمية اللحم التي قدمها لها، تكفي شخصين جائعين... وبخاصة لأنه اضاف اليها

ثلاثة انواع من الخضار، واتبعها بفنجان كبير من القهوة الطازجة وقطعة من الحلوى. انه حقاً ماهر في كل عمل يقوم به، وكل خطوة يقدم عليها.

ظهرت النجوم في السماء، وخرجت حشرات الليل من مخابئها... وتدنت درجة الحرارة بشكل ملحوظ. شدت سترتها الخفيفة بقوة حول جسمها المرتعش، فسمعته يسألها بلهجة صادقة:

- هل تشعرين بالبرد؟

لم تتمكن من اخفاء الحقيقة، مع انها ارادت اظهار قدرتها على مواجهة الصعاب وتحمل المشاق بقوة وشجاعة. اجابت بصوت منخفض:

- الى حد ما.

هل سيسخر منها أو يبدأ بتوجيه انتقاداته الجارحة اليها؟ هل يبتسم... هل يضحك... ام انه سيظل صامتاً؟ قال لها بعد لحظات بدت طويلة ومريرة:

- لنفكر اذن بالنوم.

سألته بصوت حاولت اخفاء توتره وارتعاشه قدر الامكان:

- اين وكيف سننام؟

ابتسم وقال:

- في الشاحنة... معاً. هل لديك آراء اخرى؟

لا بدّ لها من اتخاذ موقف حازم، والتحدث معه بلهجة قوية وحاسمة. رفعت رأسها بانفعال، وزدت:

- نعم! فمن الواضح انه لا يمكننا النوم معاً داخل الشاحنة.

اجابها بصوت هادىء:

- اذا اردت النوم في العراء، فهذا شأنك.

ثم ابتسم، واضاف قائلا:

- انا شخصيا، سأجد الأمر مزعجاً للغاية.

ارتبكت... احتارت... وشعرت بانقباض شديد، قالت متلعثمة:

- لم... لم اقصد النوم في... في العراء، ولكن الغطاء... الا يمكنك النوم تحت الغطاء يا... اندريه؟

اجابها باسلوب صريح واضح:

- هذا امر غير وارد اطلاقاً، فانا انوي النوم داخل الشاحنة.

- ولكن... ولكن ذلك مستحيل!

لم تعد نبرة صوتها قوية كما يجب، وشعرت أنها اصبحت في موقف ضعيف للغاية. الا انها قررت عدم الاستسلام والرضوخ... فوراً اضافت قائلة، كيلا يتمكن من التعليق على جملتها السابقة:

- سأنام انا في الداخل.

- حقاً؟

هل يضحك عليها؟ أم انها تخيلت ذلك كنتيجة لخوفها وانفعالها؟ فتحت فمها لتواصل الاعتراض والممانعة، فقال لها:

- عظيم. يبدو اننا سنمضي الليل معاً، ولن يشعر اي منا بالوحدة او السأم.

احست برعب يكاد يخنق الكلمات في حلقها، فصرخت به مذعورة:

- لا، لا! اصر على بقائك خارج الشاحنة.

اطبقت اصابعه القوية على معصمها، وكأنها قيد حديدي، وقال لها:

- اسمعي جيداً، ايتها الهرة الشرسة. انا لم اوجه لك اية دعوة لمرافقتي في هذه الرحلة، ولست مضطراً بالتالي للاهتمام بك اكثر مما تستحقين. انا املك الشاحنة التي تسللت اليها، وعليه فلي ملء

الحق في تحديد الشروط بأية طريقة تعجبني او تناسبني. سأنام في الداخل، وستفعلين مثلي... اذا كنت تعرفين مصلحتك وتهتمين بنفسك.

حاولت جاهدة تحرير معصمها من قبضته الفولاذية، ولكن جميع محاولاتها فشلت.

هزت رأسها بتحد واضح، وسألته بحدة:

- واذا كنت لا اعرف ما يناسبني، فما هي النتيجة؟

- سوف تتحملين مسؤولية المضاعفات السلبية، التي ستنجم عن ذلك.

ثم هز كتفيه بطريقة توحي باللامبالاة، ومضى الى القول:

- نحن الآن في منطقة تعج بالفهود يا عزيزتي. فاذا اردت المجازفة باغراء فهد لتذوق لحمك الطيب الشهي، فالأمر عائد لك.

جف لعابها في فمها وتجمد الدم في عروقها، لمجرد التفكير بما قد يحدث لها.

قالت له بمزيج من الغيظ والأسى:

- لا يهمك ابداً، على ما يبدو، اذا افترستني حيوانات برية جائعة. اليس كذلك؟

ردّ عليها بمرح:

- لا، لا يهمني ذلك ابداً.

ترك معصمها، وانحنى لاطفاء ما تبقى من النار الخفيفة. وفجأة خطرت ببالها فكرة اعجبتها كثيراً، سيشعر اندريه طبعاً بغضب عارم، ولكنه لن يتمكن من القيام بشيء اطلاقاً. وماذا يهمها، فيما لو استيقظ في الصباح وهو لا يزال غاضباً! هزت رأسها، وقالت له بهدوء ماكر:

- يبدو انه ليس لديّ اي خيار آخر، ولكن، هل تسمح لي ببضع

دقائق على انفراد؟

- هل ستتكلمين بمثل هذه الصراحة وهذه البساطة ليلة زفافك؟

أحست بسخريته الجارحة، ولكنها فضلت عدم التعليق على كلامه. لا مبرر لاغاظته الآن، والمجازفة بافشال مخططها الذكي. انتظرت لحظة، فسمعته يضيف قائلا:

- هيا بسرعة، وتأكدي من انك ستكونين محتشمة.

مشت نحو الشاحنة على عجل، غير عابئة بتهكمه وسخريته. آه، كم سيشتمها... وكم سيلعنها! سيزداد كراهية لها ولتصرفاتها، ولكنها ستكون المرة الاولى التي لن يتمكن فيها من اتخاذ اي اجراءات مضادة. ستنتصر عليه، وستكون لها ولو لبضع ساعات قليلة... اليد الطولى.

حبست أنفاسها، وهي تصعد الى الشاحنة. اوه، نعم! لا تزال المفاتيح في مكانها! تنفست الصعداء وكتمت صرخة فرح وسعادة، ثم سارعت الى اقفال البابين... وجلست بارتياح بالغ تنتظر ردّ فعله الجنوني.

ارض الفهود! لن يتوقف اندريه كونورز عند اي حد لادخال الرعب في قلبها، أو القلق والازعاج في نفسها. ولكن حديثه عن الفهود قد يكون صحيحاً، فهذه هي مناطق الادغال والغابات. يا لسعادتها! لم تعد بعيدة اذن عن منطقة حوض التماسيح... وخطيبها الحبيب! الا يعني ذلك أيضاً ان اندريه معرض لاخطار جسيمة؟ الم تسمع احياناً عن مشاكل يواجهها المزارعون والفلاحون بسبب أسد او فهد او نمر؟ لا، لم تحدث هذه الأمور الاّ نادراً... ولم تهاجم الحيوانات الضارية الاّ المواشي...

شعرت بوخز الضمير وتأنيبه. سوف تتعذب طوال حياتها، اذا تعرض اندريه لأي حادث من هذا القبيل. هل تفتح له الباب،

وتسمح له بالدخول؟ لا! سيكون آمناً تماماً اذا نام تحت ذلك الغطاء السميك.

تحرك مقبض الباب مرتين بطريقة عادية، ثم بعنف وحدة. لن يتمكن ابداً من فتح الباب، طالما انه مقفل من الداخل وليس معه مفتاحه. ومع ذلك، فقد شعرت سالي بالخوف والهلع. توقعت سماع ضربة على الزجاج، ولكن القوة التي استخدمت فيها جعلتها تقفز من مكانها. تصورت انه سيحطم الزجاج، ولكنه لم يفعل ذلك... بل قال لها بلهجة قاسية:

- افتحي الباب.

اكتفت بكلمة لا، ثم ضحكت بصوت منخفض عندما أدركت انه لم يسمعها. ليس امامها الآن سوى الترقب والانتظار، لمعرفة خطوته المقبلة. اذا خفت حدة غضبه وتأكد لها انه لن يقدم على اي عمل متهور، فهي مستعدة لفتح النافذة قليلا واعطائه ما يحتاج اليه. ادارت وجهها الى الناحية الأخرى، لتبحث له وراء المقعد الكبير عن غطاء او معطف يلف به نفسه اتقاء للبرد الشديد. لن يتمكن من اتهامها بالظلم أو قلة الاكتراث والاهتمام، وقد يدرك اثناء وجوده بعيداً عنها السبب الحقيقي لخطوتها هذه.

سمعت حركة غريبة لم تكن لتتوقعها، فرفعت رأسها وتطلعت نحو باب السائق بذعر وذهول. رأت الباب مفتوحاً، ورجلا ضخم الجثة يدخل الشاحنة بهدوء وارتياح. التصقت بالباب القريب منها، وقد حل الخوف والرعب محل الاطمئنان وفرحة الانتصار. سألته بصوت مرتجف:

- كيف... كيف دخلت؟

اضاء النور الداخلي وحدّق بها، فشاهدت وجهاً متحجراً شاحب اللون وعينين قاسيتين تقدحان شرراً. قال لها:

- توجد معي دائماً مفاتيح اضافية، يا عزيزتي.

ثم اغلق الباب، واضاف قائلا:

- اني اشفق على جون المسكين لأنك لست ذكية على الاطلاق.

تدحرجت دمعتان حارتان على خديها، وقالت له بصوت حزين:

- لا، لست غبية ابداً... وهذا هو السبب. فأنا... لا أرغب في... في النوم... لأنني...

قاطعها بحدة، قائلا:

- لم افكر بتاتاً بما تحاولين الايحاء به. كل ما عنيته هو ان تنامي قربي، لا اكثر ولا اقل.

ثم اقترب منها قليلا، وسألها بصوت دافئ:

- هل يحتمل انك ترغبين في أمور اخرى... غير النوم العادي؟

تقوقعت في زاويتها وصرخت به:

- اياك ان تلمسني!

ضحك اندريه بطريقة لا تعرف الشفقة أو الرحمة، وقال:

- لما لا؟

انه اسخف واحقر سؤال سمعته في حياتها! لما لا! كيف يجرؤ او يتجاسر على توجيه سؤال كهذا؟ كادت تطحن اسنانها من شدة الغيظ... والذعر، ولكنها سيطرت الى حد ما على اعصابها المتوترة المنهارة وقالت بحدة:

- لأنني، ببساطة، لا أريد ذلك.

ابتسم بخبث، وقال لها بأسلوب جعل جسمها يرتجف كأوراق في مهب الريح:

- هل تعرفين حقاً ماذا تريدين؟

اجابته بلهجة حاولت تضمينها اكبر قدر من الثقة بالنفس:

- طبعاً، طبعاً.

ـ لست متأكداً كثيراً من هذا الامر ايتها الهرة الكاذبة.

لم تجد متسعاً من الوقت لتفتح الباب وتهرب الى الخارج، فقد امتدت ذراعه نحوها بسرعة مذهلة لتطوقها وتجذبها بيسر وسهولة. أمسك بكتفيها، فحبست انفاسها وانتظرت خطوته التالية، دونما اي اعتراض او ممانعة. هذا هو السهم الاخير في جعبتها! لن تضربه او تصفعه... لن تقاومه او تحرك ساكناً! ستكون كقطعة ثلج بين يديه... او كجثة هامدة، فحتى الحيوانات الضارية تأنف من الجثث ولا تقترب منها! سيفقد حماسته ورغبته، ان لم يواجه بقتال او مقاومة! اين فرح الانتصار، اذا واجه المعتدي استسلاماً فورياً وتاماً؟ سيتراجع... قال لها:

ـ ما بك؟

فلم تجبه بل ظلت تنظر اليه بخوف، وغصّة تحرق حلقها. ضمها الى صدره فأحست وكأنها هرة تبحث عن الدفء وسط صحراء من الثلج. لم تعد تفكر بالهرب منه... لم تعد تفكر بأي شيء عقلي او منطقي! نسيت خوفها منه وكرهها له... وتحول خوفها الى سكينة غريبة. تصورته قاسياً عنيفاً، اللعنة عليه... لقد اوحت لها تصرفاته بانه يكرهها ويحتقرها. ولكن الآن في هذه اللحظات تشعر بحنانه وخوفه عليها وقدرته على حمايتها. لماذا تتمنى ان يتوقف الزمن لتظل معه؟ اي سبب يشعرها برغبة في البكاء... في الضحك. لماذا تتمنى عدم مواصلة الرحلة الى حوض التماسيح؟ جون خطيبها، هل نسيته؟ الا تريد الذهاب اليه؟ انها تحبه منذ الطفولة. تحبه. بلى... لا... بل هي...

رفع اندريه رأسه عنها، فاحست بخيبة امل مريرة. كانت ترتعش كطائر مذبوح، وصدرها يعلو ويهبط كزورق صغير في بحر هائج. حدّقت به وهي زائغة العينين وغير قادرة على الكلام او الحركة. قال

لها بصوت عادي جداً اذهلها وصدمها:

ـ والآن، ايتها الهرة الصغيرة، هل أصبحت تعرفين ماذا تريدين؟

شعرت بالمهانة، وبطعنة نجلاء في صميم كرامتها وعزة نفسها. لم تغظها لهجته بقدر ما أغضبها حوارها مع نفسها ومشاعرها المتضاربة فابتعدت عنه قائلة: نعم! اريدك الاّ تقترب مني أبداً! اذا كنت تتصور انني ضعيفة او مستسلمة فأنت مخطىء الى درجة لا تصدق!

ضحك بصوت مرتفع، وقال لها بلهجته الساخرة المعهودة:

ـ اعرف ما تريدين يا عزيزتي. ولو توفرت لنا ظروف مختلفة لكنت أخذت المسألة بعين الاعتبار. اما ان اقدم على ذلك مع طفلة، وفي شاحنة، فهذا ليس من شيمتي او من عاداتي.

جن جنونها، فقالت له وقد استشاطت غضباً:

ـ لن يجمعنا ابداً شيء واحد، يا اندريه كونورز، والأفضل لك ان تقنع نفسك بذلك.

ـ انا مقتنع على الأقل بأنك اصبحت تعرفين الآن ماذا تريدين.

رفع الغطاء الذي ادخله معه الى الشاحنة، واضاف قائلا:

ـ ستكون ليلة طويلة وباردة. آسف لأنه ليس لديّ سوى غطاء واحد، ولكنه يكفينا معاً.

تسمرت في مكانها، فيما كان يضع قسماً من الغطاء حول كتفيها والقسم الآخر فوق جسمه، ثم قال لها:

ـ تصبحين على خير.

لم تمض لحظات وجيزة، الاّ وكان اندريه كونورز يغط في نوم عميق. اللعنة عليه! ازعجتها صورته في الليلة السابقة، وها هو الآن يفعل الشيء نفسه... وبطريقة اكثر خطورة. فرأسها لا يزال مشتعلاً بالاحاسيس التي اثارها فيه، وعقلها لا يزال غارقاً في بحر من الغيظ والغضب. اذا تحركت قليلاً نحوه... سيحدث

www.rewity.com
RAYAHEENA

احتكاك... انه نائم ولن يعرف شيئاً، ولكن... من الضروري جداً الاّ يحدث هذا الامر اطلاقاً، يجب الاّ يحدث... نظراً لما تشعر به تجاه هذا الرجل. انها تريد ملامسة وجهه، وشعره الاسود الكث، ولكنها خائفة من النتائج. لا. الافضل لها انْ تنسى كل شيء وتترك هذه الليلة تمر على خير. عليها ان تقاوم اوهامها وتخيلاتها وتفكر فقط بحياتها مع جون خطيبها، اما هذا الرجل النائم بجانبها فسوف تنساه في أقرب وقت. ابعدت سالي نظراتها عنه بصعوبة بالغة، وحدّقت الى الظلام الدامس الذي تغرق فيه الشاحنة وعادت الاسئلة تضج في رأسها يجب ان تكون، كعادتها، صادقة وامينة مع نفسها وضميرها. الم تكن مشاعرها حقيقية نابعة من الصميم، وليست نتيجة لحظات عابرة؟ لم تعرف ابداً من قبل مثل هذه العاطفة المجنونة، انه لأمر مخيف جداً ان يكتشف الانسان الواثق من نفسه، وبصورة مفاجئة، انه لا يعرف حقيقة ذاته وكيانه... وعواطفه!

ما هو سرّ هذا الرجل الطويل القامة، القاسي الملامح والبرونزي الوجه؟ لكي يتمكن فجأة من قلب حياتها رأساً على عقب؟ لماذا أصبحت عواطفها الجياشة قادرة على التحكم بعقلها الراجح؟ لا يعجبها هذا الرجل، لا يعجبها فقط؟ انها تكرهه... فهو متغطرس ومعتد بنفسه، ولا يبالي بها ابداً. وتكرهه ايضاً، لأنه جعلها تنساق وراء اوهام واحلام... رغماً عنها... وهي في طريقها للزواج من حبيبها. تكرهه، لأنه حول رحلتها الى مغامرة مأساوية. هل يعقل ان تحب المرأة رجلاً بقلبها... وتتجاوب مع رجل آخر باحاسيسها؟ كانت متأكدة من الجواب... حتى يوم امس، اما اليوم فلم تعد متأكدة من اي شيء.

تنهدت بقوة وانفعال شديدين: لن تتمكن الليلة من النوم، ولكنها ستحاول... ستحاول!

استيقظت سالي، عندما كانت اشعة الشمس الذهبية تنساب عبر النافذة المغلقة... وضوء الصباح يطرد جحافل الظلام وهمومه وعذابه. احست باوجاع مؤلمة في ظهرها وبقية انحاء جسمها، مدت ذراعيها، كما تفعل كل صباح، فارتطمتا بزجاج النافذة... وتذكرت فجأة كافة احداث الليلة السابقة.

رفعت رأسها وتطلعت حولها، فلاحظت انها كانت وحدها. متى غادر اندريه الشاحنة، وماذا يفعل الآن؟ وما هي خطوتها التالية؟ فتح اندريه كونورز باب الشاحنة، فبدا نشيطاً وقوياً... ووسيماً للغاية، سألها:

- هل نمت جيداً؟

- كطفل صغير.

- عظيم. سيكون الفطور جاهزاً بمجرد انتهائك من الاغتسال.

- الاغتسال؟

- لما الاستغراب؟ البركة التي شاهدتها امس تنتظرك بفارغ الصبر. هيا، فانت بحاجة ماسة للانتعاش.

احمر وجهها عندما قالت له بتردد:

- لا... لا توجد معي... اي ثياب للسباحة.

- لم يكن لديّ انا ايضاً اي شيء من هذا القبيل. تحركي فأمامنا مسافة طويلة جداً هذا النهار. هيا!

لم تسبح مرة واحدة في حياتها بدون ارتداء الثياب الخاصة بذلك، فكيف يمكنها الاقدام على مثل هذه الخطوة الآن؟ واندريه لا يبعد عنها سوى بضع امتار! لن يتجسس عليها، فهذا الامر ليس من شيمته... كما انه منهمك الآن في اعداد الفطور، هل تذهب؟ لا... بل! انها حقاً بحاجة ماسة لدفعة جديدة من الحيوية والنشاط، وفكرة السباحة في تلك البركة الرائعة وقرب شلالها الجميل مغرية... مغرية جداً. تطلعت نحوه فشاهدت ابتسامته

المرحة التي توحي بأنه يفهم ما يدور في خلدها من افكار متناقضة ومتصارعة. اعطاها منشفة كبيرة، فاخذتها بدون تردد... وتوجهت الى البركة.

كانت المياه باردة... ومنعشة، فسبحت وقفزت ولعبت. احست بسعادة بالغة ونشاط فائق، وهي تقف تحت ذلك الشلال الصغير الرائع. وعدت نفسها بأنها ستكرر هذه الخطوة في المستقبل، اذا سنحت لها فرصة مماثلة... وتأكدت من وجودها على انفراد. آه، ما اعذب هذه الاصوات وما اروع هذه اللحظات!

وفجأة سمعت صوتاً آخر غير صوت خرير المياه وتغريد العصافير. سمعت نباحاً! خافت... لأن وجود كلب في هذه المنطقة يعني ايضاً وجود مزارع او فلاح او صياد. يجب الا يراها احد. اندفعت بسرعة نحو حافة البركة، وهمت بالخروج. اوه...

كان اندريه جالساً على صخرة قريبة، يحمل ثيابها بيد والمنشفة الكبيرة باليد الاخرى. احست سالي ان قلبها توقف عن الخفقان، والدماء تجمدت في عروقها. كيف يجرؤ على التسلل هكذا؟ صرخت به:

- ابتعد من هنا! اذهب.

ابتسم وقال لها ببرودة ومرح؟

- لن افعل ذلك.

- اريد الخروج من الماء و...

- انا بانتظارك.

كانت ترتجف خوفاً... وبطريقة لم تعرف لها سبباً او تفسيراً، ناشدته بصوت رقيق متوسل، لا يمكن الا لقلب من حجر أن يرفضه او يتجاهله:

- اندريه... لا يمكنني الخروج هكذا! انت... انت تعرف

ذلك!

- هل تريدينني ان اخرجك من الماء بنفسي؟

- اياك! ضع المنشفة قرب الصخرة، وابتعد من هنا كسيد مهذب.

لم يتحرك من مكانه. اللعنة عليه ستقلع عينيه من مكانهما! لماذا لا يذهب، فقد لا تتمكن من الصمود طويلا في هذه المياه الباردة بسبب ملابسها الرقيقة بدأت اسنانها تصطك من البرد الشديد... فانهمرت دموعها.

- اخرجي، ايتها الصغيرة هيا!

- سأفعل ذلك، بمجرد ان تضع المنشفة على...

- وهل تتصورين انك ستكونين عندئذ في وضع افضل؟

اشار برأسه ويده اليمنى نحو الاشجار القريبة، فتذكرت فجأة صوت النباح. كانت الاشجار تعج بالقردة... هل تنبح القردة العادية؟ ام ترى يوجد بينها ذلك النوع من القردة الكلبية الشرسة، المسمى بالرباح او القردوح؟

- هل تعني!

- اما انا او القرود! اذا وضعت ثيابك على الارض، فسوف تضطرين لتسلق هذه الاشجار كي تتمكني من استعادتها.

لم يعد امامها اي مجال آخر. هل تناشد شهامته لكي يدير وجهه عنها، على الأقل، عندما تخرج من البركة؟ لن يفعل ذلك، فكلمة الشهامة غير موجودة في قاموسه، ولكنها ستحاول... هذه هي فرصتها الأخيرة:

- ارجوك، يا اندريه، ان تحيد نظرك عني لبضع لحظات!

- انت تعرفين الجواب، انصحك بالخروج فوراً، والاّ فسوف تصابين بذات الرئة... وتشكلين عبئاً اضافياً على كاهل جون،

يكفيه ما لديه!

لم يخطر ببالها ان تسأله عما يعنيه بجملته الاخيرة، فأفكارها كلها كانت مركزة على كيفية الخروج من الماء والوصول الى المنشفة. تباً لهذه الخطوة!

انها اصعب خطوة في حياتها...

٥- تباً لهذا الرجل!

لم تعرف كيف أقدمت على تلك الخطوة... ولكنها خطتها، ونجحت. هل أشاح بوجهه عنها قليلا، ام انه راقبها وتأملها فيما كانت تركض نحو المنشفة؟ كيف لها ان تعرف ذلك، وهي لم تتمكن من النظر نحوه... ولن تجرؤ على توجيه اي سؤال كهذا اليه!

لم تشعر مرة واحدة في حياتها بمثل هذا الضعف والوهن، وباحتمال الانهيار امام رجولته الساحرة وجاذبيته المغرية. أحست بالدموع تحرق عينيها، فاخفت وجهها بالمنشفة لئلا يراها باكية ويتأكد من هيمنته عليها.

تصورت انها سمعته يصفها بالفتاة الشجاعة، وتخيلت ان يديه الدافئتين لامستا شعرها المبتل. ان لم تبتعد عنه على الفور، فسوف

تصبح ضحية سحره وجاذبيته الى الأبد. رفعت رأسها نحوه، فرأته يتأملها بعينين شبه مغمضتين. تجاهلت الصوت الداخلي الذي كان يطالبها بالهدوء... وقالت له بمرارة:

ـ لست سيداً مهذباً.

ـ وهل انت سيدة مهذبة؟ هل تعتبرين محاولتك الفاشلة لمنعي من دخول شاحنتي عملا شريفاً وجديراً بالاحترام؟

ازداد ارتجافها، مع ان جسمها استعاد بعض دفئه وحرارته. لاحظت بصعوبة ان الارتجاف عائد الى نظراته... ويديه اللتين تمسكان بها. حاولت طرد هذه الافكار من رأسها، فالاعتراف بها سيكشف لها حقيقة ليست مستعدة للاقرار بوجودها. سألته بألم:

ـ انت تعاقبني الآن، اليس كذلك؟

ـ اعاقبك؟ انت بحاجة لعقاب أشد وأقوى. الا يمكنك الاعتراف ايضاً بانني انقذتك من مشكلة كبيرة؟

ـ القردة؟

ـ هرعت القرود نحو الماء، بمجرد وصولك الى البركة. شاهدتها تقفز بين الاشجار وعلى اغصانها، وهي متجهة نحوك. يبدو ان اهتمام القردة تحول الى ملابسك الجميلة.

احمرت وجنتاها بسرعة، وقالت له متوسلة بصوت منخفض:

ـ دعني وشأني.

ـ حسناً سيكون الفطور جاهزاً خلال دقائق قليلة.

توجه نحو الشاحنة، وكأن شيئاً لم يكن. اقنعت نفسها اخيراً بأنها لم تكن لتقدم أبداً على مثل هذه الخطوة الجريئة المتهورة لو أنها شكّت في احتمال اقترابه منها ومشاهدته اياها على هذا النحو. كانت مقتنعة بأنه سيظل بعيداً عنها، لحين انتهائها من السباحة والاغتسال. هذا ما كان سيفعله جون في ظروف مماثلة... وهذا هو الخطأ الجسيم

الذي ارتكبته. فخطيبها الدمث الطيب المهذب ليس مقياساً لبقية الرجال، واندريه كونورز المتغطرس المتعجرف هو اصدق دليل على صحة هذا الكلام المنطقي.

ولكن وجود القردة واحتمال اقدامها على اختطاف ثيابها، يبرران الى حد ما تصرف اندريه. لا، ليست مستعدة بعد لاستخدام موضوع القردة لتبرير أعماله وتصرفاته. هل هي حمقاء؟ هل يصوره عقلها وخيالها على هذا النحو الكريه، لمجرد أنها تكرهه! وهل يقدر فعلاً على تحقيق كافة أغراضه ورغباته؟

انها حقاً سخيفة وغبية! كيف يمكن لأي رجل، حتى اندريه كونورز، اقناع مجموعة من القردة بالتوجه الى هذا المكان او ذاك؟ انها تفكر بالقرود وبتصرفات اندريه... لئلا تركز اهتمامها على رد فعلها هي. يستحيل عليها بعد الآن اقناع عقلها بانها سمحت لأندريه القيام بتصرفات معينة، لان الصدمة القوية المذهلة عقدت لسانها وشلت قدرتها على الهرب... او المقاومة... أو حتى الاعتراض والممانعة. ستكون صادقة مع نفسها وتعترف بأنها تمتعت بتلك الفترة القصيرة... وشعرت بسعادة فائقة. كيف يقدر هذا الرجل البغيض على ايقاظ حواسها ومشاعرها الى هذه الدرجة المذهلة؟ من اين له هذا السحر الفائق الخطورة؟

تناولا طعام الفطور بصمت رهيب. لم تكن سالي راغبة في التحدث معه، وخاصة لأنه ليس من ذلك النوع الذي تستهويه الاحاديث العادية. كان الطعام بسيطاً، ولكنه شهي بشكل مدهش. حاولت الاكتفاء بفنجان قهوة وقطعة لحم صغيرة، علّه يلاحظ نفورها واستياءها. الّا ان السباحة وتلك الشرائح المجففة من لحم الغزال الافريقي الضخم الجميل، المسمى كودو، فتحت شهيتها الى درجة مذهلة... بحيث اكلت ما يكفي لثلاثة اشخاص

www.rewity.com ARABAHEENA

لم ترفع عينيها عن الطعام فترة طويلة، ولكن مقاومة الاغراء بالتطلع اليه ضعفت وتحطمت. رفعت رأسها نحوه، فالتقت نظراتهما وكأنهما جيوش جرارة تتحفز للانقضاض على بعضها، تحولت النار في عينيه، الى اضواء كاشفة تقتحم أسوارها باغراء تصعب مجابهته. ركز نظراته في بداية الأمر على وجهها، وبرقت عيناه عندما شاهد احمرار خديها وارتباكها. وما هي الاّ لحظات قليلة، حتى تحولت تلك النظرات الحارقة ببطء شديد الى عنقها... وكتفيها... وشعرها. لم تترك الاضواء الكاشفة شيئاً الاّ وتفحصته بدقة وروية... بما في ذلك تلك العروق التي كانت تنتفض بعنف في عنقها. لا شك في ان هذه النظرات الحادة قادرة تماماً على اختراقها، ومشاهدة مشاعرها على طبيعتها...

وعندما رفع رأسه لينظر ثانية الى عينيها، كانت سالي مستعدة للمواجهة والمجابهة. انها سيدة مهذبة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وبغض النظر عما قاله لها. لقد تصرف معها اندريه كونورز بطريقة غير لائقة، وبدون ان يأخذ بعين الاعتبار كونها مخطوبة الى رجل آخر... وكون ذلك الرجل صديقاً مقرباً له. اين شهامته هل يعقل انه لا يتمتع حتى بالنذر القليل من الاخلاق الحميدة والنوايا الطيبة؟

لم يتأثر بنظرات الاشمئزاز والازدراء، بل ازداد خبثاً... وامعاناً بتعذيبها، مد يده الى شعرها، ثم قال لها بلهجة مرحة:

ـ حان الوقت لتنزلي من عليائك، اهتمي بالأمور هنا، فيما اعد الشاحنة للرحيل.

انه فعلا أفضل وقت للبدء بما تبقى من هذه الرحلة اللعينة، فنسيم الصباح الباكر لا يزال قادراً على التخفيف من حرارة الشمس. تأملت سالي باعجاب واضح حقول التبغ وبساتين

الحمضيات، وتلك الشلالات والجداول التي تعطي هذه المناطق الحارة وشبه الجافة سحراً خلاباً وجمالا رائعاً.

اختفت البساتين والحقول وراءهما، وحلت محلها الادغال التي تزود البلاد بكميات ضخمة من الخشب. بدت السفوح ذات التربة الخصبة الغنية مكتظة بالاشجار العالية ذات الجذوع المستقيمة، وظهرت الجبال والوديان القريبة كدليل ساطع على ردعة المنطقة.

عادت التساؤلات عن ماهية عمل اندريه تضج في رأسها كقفير نحل، فهي لا تعلم الاّ ان له علاقة بالزراعة والمزارع. ولكن... ما هو نوع عمله بالتحديد؟ مهما كانت طبيعة عمله فلا بدّ انه يتقنها ويجيدها. من المؤكد انه يطاع بدون تردد، وبصورة عمياء. لا يقبل العمل تحت امرة احد، فهو يقود ولا يقاد... يمكنه التسلط على الآخرين واصدار ما يحلو له من اوامر وتعليمات، ولا يتوقع رفضاً او مناقشة او تقاعساً. يتبعه الرجال طوعاً، لثقتهم به وبقيادته الحكيمة. اما النساء... فيهرعن اليه للارتماء على قدميه، سعياً لكسب وده وارضائه.

ولكن سالي وحدها... سالي الاندفاعية والسريعة الغضب، ستتحداه وتجابهه. لماذا تختلف عن غيرها من النساء، لماذا قررت مقاومته، وهي تعلم علم اليقين انه قوي وواثق من نفسه... ويتصرف بحكمة وحنكة؟ ثمة صفة فيه، في شخصيته القوية، تشعل النار في رأسها وتلهب مشاعرها واحاسيسها... بحيث تصطدم واياه حول كل نقطة او مسألة.

ظهرت أمامهما فجأة شاحنة كبيرة، محملة بكميات ضخمة من جذوع الاشجار. الطريق ترابية ضيقة، والشاحنة تتمايل من هذا الجانب الى ذاك تحت وطأة حمولتها الثقيلة... واندريه يركز كافة اهتمامه على الاحتمالات الضئيلة للتجاوز. ستتأمله الآن بدون

علمه ومعرفته...

كان عليها ان تعرف مسبقاً كيفية التهاب عواطفها، بمجرد النظر اليه. ارتعشت فوراً عندما شاهدت اصابعه الممسكة بالمقود، رفعت رأسها نحو وجهه، فلم يبد منظره الجانبي أقل غطرسة وعنجهية. انف قوي متناسق، ملامح قاسية، وذقن لا يعرف معنى الرقة والنعومة.

لاحظت لأول مرة الخطين البارزين، اللذين يمتدان من اسفل انفه حتى حافة فمه. هل يدل هذان الخطان عادة على طبيعة مرحه تحب الابتسام والضحك؟ تساءلت باستغراب عن سبب عدم ملاحظتها لهما في وقت سابق! هل يعود سبب ذلك الى انها لم تتوقع وجودهما في وجه قاس كوجهه، ام لأنها لم تربط مرة بين اندريه والضحك؟ سمعته يضحك مرتين او ثلاثاً، ولكن بصوت منخفض... وبتلك الطريقة المثيرة التي تضج سحراً واغراء. شاهدت عينيه مرات عديدة تلمع بمرح ساخر وسرور خبيث، ولكن خطي المرح اللذين يحيطان بفمه يوحيان بحبه الحقيقي للضحك والحياة... مع انها لم تسمع بعد الضحكة التي تأتي عادة مع وجود هذين الخطين. آه! ربما كان يحتفظ بمثل هذه الضحكات النقية الصافية، والخالية من السخرية اللاذعة والقساوة المؤلمة. لشخص آخر... لامرأة معينة لا يشاركها ضحكاته فحسب، بل وأيضاً افكاره واحلامه.

لم تكن مستعدة لهذا الخنجر الصغير، الذي اخترق ضلوعها وغاص حتى قلبها. تألمت وتعذبت بشكل اذهلها وصعقها، فأرغمت نفسها بصعوبة بالغة على ابعاد نظراتها عنه وتحويلها الى النافذة. ولكن المناظر الطبيعية الخلابة فقدت بعض سحرها وجمالها، وبدت حزينة... مثلها... الى حد ما.

سرها ان اندريه كونورز ليس قادراً على مشاهدة الدموع المترقرقة في عينيها. انه يجمع في ذاته كافة الصفات السيئة التي تكرهها وتحتقرها في الرجال، وآخر شيء تريده الآن هو اطلاعه على مدى قدرته على ايلامها.

طوال الساعة الماضية كانت تتمتع بالرحلة وجمال الطبيعة الى درجة كبيرة، اما الآن فلم تعد ترغب الاّ في الوصول بأسرع وقت ممكن. انها بحاجة الى جون، والى الامان والسعادة وراحة البال التي لا يمكن لأحد غيره منحها اياها. وفي غضون ذلك، ستظهر لاندريه كونورز ان رجولته الساحرة وجاذبيته الهمامة لا تعنيان لها شيئاً على الاطلاق.

تطلعت نحوه ثانية، وكانت هذه المرة شاحبة الرأس وهادئة الأعصاب. سألته بصوت حاولت اظهاره عادياً الى أبعد الحدود:

- متى سنصل الى حوض التماسيح؟

- بعد ساعة تقريباً.

ذلك المرح الساخر في لهجته ونبرة صوته! تجاوز الشاحنة الأخرى في تلك اللحظة بالذات، ثم استدار نحوها وحدق بعينيها. أحست انه كان يقرأ افكارها! لا، لا يمكن... مستحيل! ولكن هذا الشعور لم يفارقها، فسألته:

- هل لا نزال بعيدين الى هذه الدرجة؟

تأمل بريق عينيها واحمرار وجهها، ثم قال لها:

- تصورت انك تتمتعين بالمناظر الطبيعية.

- كنت... اعني انني... اتمتع بها. الريف جميل للغاية.

ابتسم لها بهدوء، فاحست بشعور غريب! ما هي الخصائص الفذة التي يتمتع بها هذا الرجل، لتجعلها تشعر أمامه وكأنها فتاة صغيرة وضعيفة؟

- انه جميل حقاً.

لاحظت مجدداً انه يهزأ منها، وراحت تفكر بأنجع طريقة لاستعادة سيطرتها على الوضع القائم بينهما. ولكنه لم يمنحها الوقت الكافي، اذ سألها بصوت هادىء:

- متى شاهدت جون لآخر مرة؟

نظرت اليه بشيء من القلق، لأن تلك النبرة الغريبة في صوته أزعجتها... على الرغم من كون السؤال بحد ذاته عادياً وبريئاً. قالت له:

- قبل عام مضى.

- ومنذ متى خطبتما الى بعضكما؟

- رسمياً... منذ سنتين، ولكننا كنا نعرف دائماً أننا سنتزوج. لماذا تسأل؟

- لقد انتظرتما فترة طويلة للغاية، فاستغربت اقدامك على المجيء الآن... وبدون اطلاع جون على مثل هذا القرار الجدي.

- هل تحاول الايحاء بشيء معين؟

- لماذا لم تخبري جون بأنك آتية؟

- اردتها كمفاجأة سارة له.

- الم تكوني خائفة من انه قد يرفض مجيئك، فيما لو عرف بالأمر مسبقاً؟

ثارت ثائرتها بسبب البرودة المتعمدة في لهجته، فنسيت قرارها بالبقاء هادئة الأعصاب والتصرف بحكمة ونضوج. قالت له بحدة:

- خائفة؟ من جون؟ لا يمكن! لماذا هذا الحقد كله، يا اندريه كونورز؟ مسحت دمعتين تدحرجتا رغماً عنها على وجنتيها الحمراوين، واضافت قائلة:

- لماذا هذا الايحاء الصريح بأن جون لا يريدني؟

- قليلاً من الهدوء.

ردت على جملته الآمرة... الناعمة، بعصبية:

- كيف يمكنني ان اكون هادئة، وانا لم اسمع منك منذ التقينا الاّ الاهانات والكلمات القاسية الجارحة؟ انا وجون مخطوبان، وهو يحبني ويريدني معه.

لم يتأثر بانفعالها وعاد يسألها ببرودة مزعجة:

- لماذا تحضرين الآن بالذات، يا سالي، وبدون اطلاعه مسبقاً على رغبتك هذه؟

ارتاحت اعصابها قليلا لمجرد سماع اسمها، عوضاً عن تلك التسمية المقيتة... الهرة الشرسة. اجابته بصوت حزين مرتبك:

- شعرت انه قد يكون... مريضاً. رسائله... في الفترة الأخيرة... لم تكن كلماته توحي... بالارتياح. من المؤكد انه بحاجة اليّ. هل هو... مريض؟

- انه يتمتع بصحة جيدة، حسبما أعرف.

ها هو يستخدم ثانية هذه اللهجة الايحائية الغامضة، التي تزعجها وتثير اعصابها.

قالت له ببطء شديد:

- انت تعتقد، على ما يبدو، ان جون لا يريدني.

توقعت منه جواباً غاضباً وساخراً، ولكنه ادهشها جداً عندما سألها بصوت رقيق للغاية...

مستخدماً اسمها الاول مرة ثانية خلال دقائق:

- هل فكرت، يا سالي، انه قد تكون لجون مخططات اخرى؟

حدّقت به مذهولة، وغير قادرة على تصديق ما سمعته اذناها. تعرفه منذ البداية متغطرساً جداً وقاسياً لا يشفق او يرحم، ولكنها لم تكن لتتصور ابداً انه يكرهها الى درجة تدفعه لمحاولة اذلالها بشتى

الاساليب والوسائل. قالت له بلهجة حادة ومفعمة بالاحتقار والازدراء:

ـ لا! لا، لم افكر بمثل هذه المسألة ولو للحظة واحدة. انا احب جون واثق به، وهذا هو جوهر علاقتنا منذ ايام الطفولة.

ثم نظرت اليه بتحد صارخ، واضافت قائلة:

ـ انها علاقة لا يمكنك فهمها او تقديرها، يا اندريه كونورز. انت شخص معتد مغرور لا تحب احداً او تثق باحد، الاّ نفسك.

ابتسم برقة اذهلتها، وسألها:

ـ هل تعرفينني الى هذه الدرجة؟

ـ الى درجة تكفيني، ولا أريد تجاوزها ابداً.

انتظرت لحظة لتتأكد من وصول النصل السام الى نحره، ثم مضت الى القول:

ـ اما بالنسبة لجون، فأرجو من صميم قلبي ان تكون اجابتي المتعلقة به كافية للرد على تساؤلاتك وحب الاستطلاع لديك.

هز منكبيه العريضين بكثير من اللامبالاة، ولكن نظراته التي وجهها اليها بشكل عابر اوحت باشياء لم تفهمها... ولم تشهدها من قبل. الشفقة؟ لا، لا يمكن! التعاطف؟ ربما! ربما يشعر بتعاطف معها، ظناً منه انها فتاة مدللة غير قادرة على التأقلم مع حياة العزلة والبساطة. الا يمكن ايضاً انه متعاطف مع جون، لانه يكرهها ويعتبرها زوجة غير صالحة لصديقه؟ التعاطف مع جون... هذا هو السبب لتصرفاته العدائية تجاهها.

ـ انت تعتقد انني لست الزوجة الملائمة لجون، اليس كذلك؟

ـ صحيح.

حصلت سالي على الجواب الذي كانت تتوقعه من اندريه كونورز، مع ان النبرة الجافة والحاسمة في صوته ازعجتها وضايقتها

الى درجة كبيرة. قررت الاّ تمضي قدما في هذا الحوار المثير للاعصاب، ولكن شعوراً خفياً ارغمها على توجيه السؤال التالي:

ـ هل تعتقد انني غير قادرة على تحمل قساوة العيش في مثل هذه المناطق؟

ـ لا يمكن لكثير من النساء تحمل هذه الحياة.

احست بمرارة شديدة في لهجته، فقررت متابعة الهجوم. رفعت رأسها بعزة وافتخار، وقالت:

ـ ربما اكون مختلفة.

ـ انت افضل من معظمهن، من حيث الشجاعة والتصميم وقوة الارادة.

الا يمكنه التحدث اليها، الا بهذه السخرية اللاذعة. قررت الرد عليه بقساوة مماثلة، ولكنه سبقها الى الكلام قائلا بلهجة اكثر صدقاً وجدية:

ـ يتطلب العيش في مناطق الادغال والغابات، قدرات فريدة ونادرة من اكثرية النساء. لا تدعي الحماس وحب المغامرة يخدعانك، يا سالي. ستجدين خلال فترة قصيرة جداً انك تتحرقين شوقاً لاضواء المدينة ورفاهيتها.

ـ انت مخطىء في تقديرك لي، وسوف اثبت لك ذلك.

نظر اليها مجدداً، فلاحظت ذلك الشعور بالشفقة. قال لها:

ـ هل ستتمكنين من ذلك؟ انا اعتقد العكس، ولكن كلامي لا يؤثر فيك اطلاقاً. ستقتحمين اماكن قد لا يكون وجودك فيها مرغوباً، وستصرين على ارتكاب اخطاء يمكنك تجنبها وتفاديها. وسوف تشعرين بوقع المفاجأة المرة، عندما ينتهي بك المطاف محطمة القلب مهشمة الفؤاد.

تأملته بذهول شديد، وغضب عارم. لم يعد خافياً عليها انه يريد

www.rewity.com KRAYAHEEN

تعذيبها وايلامها، وان عليها تحصين نفسها في وجه سهامه الغادرة. ومع ذلك، فهو لا يزال قادراً على اصابتها بجراح بالغة... كلّما قرّر مهاجمتها. سترد له الساع صاعين...

- مهما سيحدث لي، يا اندريه كونورز، فلن استنجد بك وأبكي على كتفيك!

ها هي تسجل نقطة لصالحها... تربح معركة في حربها الضروس معه. اعجبها تلبد وجهه بملامح الانفعال والاستياء، فالسهم الذي اطلقته اصاب مرماه. ادارت وجهها عنه، اذ لم يعد هناك على ما يبدو اي مجال او ضرورة لحديثهما المشبع بالحقد والكراهية.

كانت تشتعل غضباً وتشعر بتوتر هائل في اعصابها، على الرغم من قرارها عدم افساح المجال امام عنجهيته واعتداده بنفسه لازعاجها او التأثير عليها. كيف يجرؤ هذا اللعين على التحدث اليها بهذه الطريقة؟ كيف يجرؤ على الايحاء بان جون قد لا يكون راغباً في حضورها اليه... وهو الذي يخطط منذ سنوات لزواجهما المرتقب.

اوه! الآن عرفت السر الحقيقي الكامن وراء تصرفات اندريه كونورز العدائية تجاهها! لا شك في ان احدى النساء آذته الى درجة كبيرة، في فترة ما من ماضيه... وانه بدا يعامل جميع بنات جنسها بهذه العنجهية والمرارة نتيجة لذلك.

عاد الهدوء تدريجاً الى اعصابها، فاخذت تتأمل بارتياح الطبيعة ومناظرها الخلابة. بدت الطريق الترابية، وكأنها الحد الفاصل بين الاراضي المزروعة... ومناطق الغابات والادغال. ارتعشت فرحاً وسروراً، فقد احست بالغريزة انها اقتربت من حوض التماسيح... وخطيبها. نسيت تعاليها، فاستدارت نحو اندريه بصورة عفوية وسألته بشيء من اللهفة والحماسة:

- هل وصلنا الى حوض التماسيح؟

وجه اليها نظرات خالية من الغضب والتهكم، وقال لها بصوت هادىء... وكأنه نسي كلماتها القاسية:

- لا، ولكنها منطقة مماثلة. سنمر على بضع مناطق لتجمعات الحيوانات البرية، ومنها الحديقة الوطنية التي تضم افضل واكبر مجموعة من هذه الحيوانات النادرة.

آه، هذا هو المكان الذي كان جون يحلم بالعمل فيه... ولكن العرض الخاص بحوض التماسيح كان سخياً للغاية فلم يتمكن من رفضه. وتساءلت سالي ضمناً عما اذا كانت ستفضل الحياة في هذه المنطقة التي تعج بالعمال والموظفين والسياح، على العيش في حوض التماسيح البعيدة والنائية! لا، لن تهمها الوحدة والعزلة في حوض التماسيح، طالما انها ستكون مع جون. هذه هي الحياة التي اختارها... وهذه هي الحياة التي ستقبل بها وتتأقلم معها. ستعتاد عليها بالرغم من مصاعبها وقساوتها واخطارها، فهي الحياة التي يحلم بها جون منذ صغره. شاهدت فجأة مجموعة من الغزلان تقفز وتلعب في فسحة كبيرة بين الاشجار، فحرك المنظر الجميل في نفسها مشاعر السكينة وحب الطبيعة. هتفت بارتياح واضح، وبطريقة عفوية صادقة:

- اوه، كم هي رائعة!

وجّه اليها مجدداً تلك النظرات، التي تجعلها تشعر بانها صغيرة... وسطحية الى حد ما واكتفى بالقول انها حيوانات جميلة. لماذا يحاول هذا الرجل استغلال كل فرصة تتاح له، ليحط من قدرها ويؤذيها... ويمثل هذه السلبية التي لا تطاق؟ احست بانها على وشك توجيه ملاحظة سخيفة، فحاولت خنقها في المهد... ولكنها فشلت. دفعتها قوة غامضة الى القول:

ـ انا متأكدة من انك تفضل الأسود، فقساوتها تعجبك وزئبرها اغنية رقيقة تدغدغ اذنيك واحاسيسك.

ابتسم وقال:

ـ انت ذكية جداً لكي تتمكني خلال يومين فقط من معرفة خبايا نفسي وافكاري الى هذه الدرجة. تصوري كم ستبلغ معرفتك لي بعد اسبوع!

لعنت سالي الاحمرار الذي ضج في خديها، وردت عليه بسخرية مماثلة:

ـ يكفيني تماماً ما اعرفه عنك حتى الآن، يا اندريه كونورز.

نظر اليها بطريقة كادت تجمد الدماء الحارة في عروقها، وسألها ببرودة اثارت سخطها وحنقها:

ـ هل انت متأكدة من ذلك؟

لن تجيبه هذه المرة، لأنه سيحطمها! زمت شفتيها بعصبية بالغة، وابعدت وجهها عنه بتمرد واضح. سمعت ضحكة خفيفة وراءها، توحي بأن سائق الشاحنة شعر برد فعلها وادرك ما يجول في عقلها وتفكيرها. ما بالها تعود الى تلك الافكار السخيفة الغبية، وتتخيل هذا الرجل اللعين طبيباً نفسياً او خبيراً في علم الفراسة؟ انه لا يستحق ابداً هذه المواصفات، وليس لديه الذكاء الكافي للتمتع بهذه الصفات والمزايا، ولكنها... ولكنها تشعر بقوة شخصيته... وتأثيره عليها، حتى على الرغم من التصاق عينيها بالنافذة القريبة منها. كيف يمكنها تحصين نفسها ومشاعرها في وجه هذا الرجل... الرجل؟

ناشدته صامتة ان يوصلها الى حوض التماسيح... وان يدعها وشأنها. صرخ عقلها:

ـ ابتعد عني وعن حياتي. لا اريدك قربي... جسماً او فكراً او

عاطفة.

هل تريد ذلك حقاً؟ انها ليست متأكدة على الاطلاق! تباً لها.. ولعواطفها المجنونة، وتباً لهذا الرجل الذي يعذبها ويؤذيها.. ويجعلها تتمتع احياناً بأمور لم تكن تتصورها!

٦ـ سأنساك الى الأبد

ـ سالي . . .

لو ناداها الهرة الشرسة ، لكانت تجاهلته . ولكن صوته حمل نبرة معينة حثتها على النظر نحوه والاصغاء اليه . اشار الى يمينها ، وقال :

ـ هناك ! هل ترينها ؟

ـ ما هي ؟ اين ؟

مرت لحظات وجيزة ، قبل أن تشاهد مجموعة كبيرة من النقاط السوداء تتحرك على علو شاهق . سألته مرة أخرى :

ـ عصافير ؟

ـ عقبان .

كانت تعرف أهمية طيور الجيف هذه ، فقالت :

ـ اوه ! هل تنتظر ضحايا جديدة ؟ تنتهي الأسود من اشباع بطونها ، فيأتي دور العقبان .

ـ لقد علمك لجون جيداً .

ثم التفت نحوها ، وأضاف قائلاً بلهجة تحمل شيئاً من التهديد والوعيد :

ـ هل تعلمين انها تهاجم أيضاً الصغار والمستضعفين ؟

لم تجبه ، اذ لا حاجة للاجابة على مثل هذا السؤال . ولكن جسمها ارتجف خوفاً ، واحست بأن اندريه لا يعني فقط الحيوانات الصغيرة الضعيفة . هل يحتمل بأنه يوحي بامكانية اقدام عقاب على مهاجمة شابة راشدة وقوية مثلها ؟ لا ، هذا غير ممكن اطلاقاً ! ومع ذلك . . . فكلماته تحذيرية مزعجة ، تزيد من رغبتها في الوصول الى حوض التماسيح ، بأسرع وقت ممكن .

وفجأة . . . ظهرت أمامها الكلمتان اللتان تنتظرهما بفارغ الصبر . حوض التماسيح ! تأملت بسرور بالغ الكوخ الجميل ، المبني من خشب الصنوبر ، والزهر الأحمر الرائع الذي يغطي جدرانه . وما أن أوقف اندريه الشاحنة أمام الكوخ ، حتى فتح الباب رجل بادر الى القاء التحية بمودة وحرارة . اوه ، لا شك في أن اندريه زائر مألوف ويحظى بمحبة الناس هنا واحترامهم .

تبادل الرجلان بضع كلمات ، ثم . . . عادت عجلات الشاحنة الى الدوران . ثمة أسئلة كثيرة تريد توجيهها الى هذا الرجل ، ولكنها سئمت من التعرض للاذلال والردود الساخرة والقاسية . وعلى الرغم من ذلك ، فقد جازفت بالنظر اليه . قال لها بلهجة رقيقة ناعمة ، لم تكن تتوقعها :

ـ يقع المخيم على بعد حوالي ثمانية كيلومترات .

لم تزعجها كلماته هذه المرة . بدا وكأنه يتوقع صدمة قاسية لها . . . ويستعد لمساعدتها . امتنعت عن التعليق على كلامه ، وأدارت وجهها عنه . . . حزينة متألمة . ها هي تفسح له المجال مجدداً ، ليتمكن من التأثير عليها . . . حتى أن أبسط ملاحظاته تأخذ أحجاماً أكبر بكثير مما تستحقه . ما هو هذا السر الغامض ، وكيف يمكنها تفسيره أو تحليله ؟ لماذا يقدر رجل تكرهه وتحتقره ، أن يؤثر عليها بهذه الطريقة المذهلة ؟

مهما كان السبب ، فسوف يصبح قريباً أمراً منسياً لا أهمية له على الاطلاق . لن يتمكن اندريه بعد الآن من التسلل الى عقلها وأفكارها ! ستطرده ، حتى من أحلامها ! سوف تركز كل اهتمامها وانتباهها وتفكيرها على جون ، وزواجها المرتقب ، واستقرارهما في بيت جديد وحياة جديدة . ستصل بعد دقائق الى خطيبها . . . كم هي سعيدة بقرب انتهاء هذه الرحلة . . . رحلة العذاب والألم . . . والأحاسيس المجنونة ! ستصل بعد قليل . . . وتنساه الى الأبد !

ارتعشت يداها فجأة ، وشعرت بألم يعصر قلبها . لماذا كل هذه المحاولات الجادة لاقناع نفسها بهذا الأمر ؟ لماذا تتمنى عدم انتهاء هذه الرحلة ؟ اللعنة على العواطف الخفية والأحاسيس الغامضة ! الا يمكنها طرد هذه الأفكار المجنونة ؟ لماذا لا تحاول تركيز اهتمامها على الغزلان التي تسرح وتمرح في هذه البراري ، أو حتى على تلك العقبان التي تحوم فوق احدى التلال القريبة ؟

لمحت زرافة ، فأوقف اندريه الشاحنة كي تتمكن من رؤيتها عن كثب . اخذتها بادرته الطيبة على حين غرة ، اذ لم يظهر في تصرفاته معها حتى الآن أي نوع من الاهتمام الحقيقي بها أو برغباتها . وجهت اليه ابتسامة شكر على هذه الخطوة الايجابية النادرة ، ولكنها لم تتوقع منه أن يرد على ابتسامتها بالمثل . . . فهذا الأمر ليس من طبيعة

الرجل المتعجرف الذي يجلس قربها . إلّا انها لم تكن تنتظر أيضاً تلك النظرة المجهرية الفاحصة ، التي جعلتها تشعر بضعفها أمامه . . . أغمضت عينيها ، وأبعدت وجهها بسرعة عن الزرافة الجميلة .

لو كانت الظروف عادية ، لظلت تتأمل هذا الحيوان الجميل فترة طويلة . ولكن المنظر الرائع فقد رونقه وبهجته ، وحلت الدموع الحارة محل نظرات الاعجاب والارتياح . آه من هذه العاطفة التي اشتعلت فجأة في احشائها . . . الرغبة في البقاء معه .

ارتاحت قليلاً عندما عادت الشاحنة الكبيرة الى التحرك ، ولكن توتر أعصابها لا يزال على أشده . هل يحتمل انه لا يشعر بهذا التوتر ؟ ألا يعقل أن يكون هذا الشعور بالانفعال والتشنج مقتصراً على أفكارها . . . وخيالها ؟ صرخ بها عقلها ، مطالباً اياها بالتعقل . . . وبطرد هذه الأفكار الشريرة . ستصل بعد قليل الى المخيم ، وعليها التأكد مسبقاً من عدم قدرة جون على اكتشاف ما يجول في خاطرها من أفكار سوداء . كيف سيكون رد فعله اذا علم بمدى تأثير رجل آخر ، والى هذه الدرجة المذهلة ، على خطيبته التي سيتزوجها خلال أيام معدودة ؟ ألن يشعر بصدمة رهيبة ، اذا تبين له أن مجرد وجود اندريه كونورز قربها . . . يحرقها ويذيبها ؟

حللت الموضوع بموضوعية وعقلانية ، فلم تجد أي سبب لتخريب الصداقة بين جون واندريه . من المؤكد أن لهذا الرجل اللعين القوة والقدرة على اثارتها ، ولكن ذلك يقتصر على الناحية العاطفية . التقته قبل يومين فقط . إلّا أن تسللها الى شاحنته هو الذي أشعل الفتيل . هل كان ممكناً تصور كافة هذه الأحداث المتلاحقة ؟ هل كانت تتخيل قبلاً مدى امكانية تجاوبها مع رجل كاندريه كونورز . . . أو أي رجل على الاطلاق ؟

ولكن رحلة المصير بدأت تشرف على نهايتها ! ولولا تحديد

www.rewity.com RAYAHEEN

السرعة القصوى في هذه المناطق بخمسة وثلاثين كيلومتراً في الساعة ، لكانت الآن مع جون تنعم بحبه وحنانه . . . بعيداً عن هذا الشرير . ستركز اهتمامها على المستقبل الذي ينتظرها وخطيبها ، وسوف تزول بالتالي ذكريات هذه الرحلة المشؤومة . . . وتفاصيلها وحتى لو التقت اندريه مستقبلاً وفي مناسبات اجتماعية ، فانها ستتصرف معه بطريقة طبيعية للغاية . . . ولن تدع جاذبيته تؤثر فيها أو تهمها . واذا أشارا إلى الرحلة من قريب أو من بعيد ، فسوف يفعلان ذلك بروح مرحة . . . وعلى سبيل الترفيه والتسلية . لن تكون هناك ذكريات اليمة حزينة ، أو أحلام مزعجة . . . أو حتى أحلام يقظة . لا تحدث هذه الأمور عادة إلاّ مع الذين يحبون . . . فكيف يمكنها هي بالذات الوقوع بحب رجل تحتقر جميع صفاته وتصرفاته !

تحليل منطقي ! اذن ، فلماذا العذاب والألم ؟ وظهر المخيم المنشود في فسحة من الأرض تشرف على النهر . كانت صغيرة جداً عندما زارت الحديقة الوطنية ، ولكن بعض الذكريات القليلة لا تزال عالقة في ذهنها . قرأت مرات عديدة وصف جون التفصيلي لمخيم حوض التماسيح ، فصورته في عقلها على شاكلة المخيمين اللذين أقامت فيهما مع والديها عندما حضر الثلاثة لتمضية اسبوعين في أدغال أفريقيا . تخيلته مجموعة من القرى الصغيرة ، تضم مخزناً ومطعماً ومرآباً للسيارات . توقعت أن يكون مخيم حوض التماسيح آخر موقع للمدينة في هذه المناطق النائية !

تطلعت حولها بما يشبه الصدمة ، وأخذت تتأمل بذهول رهيب المكان الذي سيصبح بيتها . . . وقد تضطر للعيش فيه طوال عمرها . كانت تنتظر مخيماً صغيراً . . . ولكن . . . ليس إلى هذه الدرجة المزرية . شاهدت المبنى الأساسي ، فأعجبها الى حد ما

شكله المستطيل الجميل ونوافذه الكبيرة . . . التي تراقب منها الحيوانات عندما تقصد النهر القريب للشرب أو الاغتسال ، انه بالتأكيد مخصص للسياح الذين يقصدون هذا المكان . لم يكن حوله أو قريباً منه إلاّ ثلاثة بيوت أصغر حجماً ، لا بدّ وأن يكون احدها مخصصاً للأعمال الادارية . . . والثاني لنوم العمال . . . والثالث . . .

لا ، لم تتوقع عزلة مرعبة كهذه ! هي المخطئة في تصويرها مخيم حوض التماسيح كنسخة مصغرة عن المخيمين الآخرين ، اللذين زارتهما منذ سنوات عديدة . لم يحاول جون أبداً حملها على الاعتقاد بأن مخيمه يختلف عما هو عليه الآن ، وبأن الحياة ستكون أقل صعوبة مما تبدو لها في هذه اللحظات . لم يرغمها أحد على الحضور ، ولم يخدعها جون باتخاذه قرارات مفاجئة . كانت تعرف تماماً أن هذا هو الخط الذي اختاره لنفسه منذ الصغر ، وانه لم يكن لديها أي مانع أو اعتراض على ذلك . حضرت بملء ارادتها ، وبناء على تصميم سابق ، لأنها تحب جون ولا يمكنها تحمل الحياة وهي بعيدة عنه . واذا كانت لهذه الوحدة أو العزلة سيئات كثيرة ، فحسنتها الوحيدة تمحو جميع سلبياتها وعيوبها ، ستعمق العلاقة القائمة بينهما ، وتجعلها أكثر متانة وديمومة .

أحست بأن اندريه يحدّق بها ، فرفعت رأسها نحوه لتقابل نظراته . كان يتأملها بطريقة حنونة توحي بالتعاطف معها . . . وكأنه شعر بصدمتها وانقباض نفسها . سارعت لافهامه بأنه واهم في تفكيره وتصوراته ، فسألته ببهجة وهي تشير الى الكوخ الصغير الذي صنع سقفه من القش :

ـ هل هذا هو المكان المخصص لاقامة جون ؟

ـ نعم .

ـ اذن . .

ترددت لحظة ، ثم أضافت :

ـ سأنزل امتعتي وأضعها هناك .

لم تخبره أن معنوياتها أصبحت في الحضيض بسبب الصدمة المزدوجة ، لأنه سيسخر منها ويودعها بمثل ما استقبلها من عنجهية واذلال . يا لسخافتها وجهلها ! انتظرت أن يهرع جون لاستقبالها ، لترتاح قليلاً . . . وتثبت لهذا الوغد فداحة الخطأ الذي ارتكبه عندما اوحى لها بأن خطيبها لا يريدها . ولكن . . . كيف يمكنها توقع ذلك ، وهذا هو وقت العمل بالنسبة الى جون ؟ مدت يدها نحو اندريه ، وقالت :

ـ اشكرك جداً لأنك أوصلتني الى هنا . سيكون جون أيضاً ممتناً لك .

لم يصافح اندريه اليد التي مدتها نحوه بصدق واخلاص ، فأعادتها الى مكانها وهي تشعر بالمذلة والاهانة . لاحظت أنه لا يزال يتأملها ، ولكن بطريقة مختلفة . لو كان هذا الرجل أي شخص آخر غير اندريه كونورز ، لأعتبرت هذه النظرات دليلاً على الرضى . . . أو حتى الاعجاب . إلاّ انه ليس شخصاً آخر ، وبالتالي فهو لا يعرف كلمة اعجاب أو معناها . في أي حال ، كيف تسمح لنفسها بتوقع الاعجاب من رجل لا ينظر اليها إلاّ باحتقار وشماتة ؟ ابعدت نظراتها عنه كيلا يكتشف مشاعرها أو يقرأ أفكارها ، وقالت له بلهجة حاولت اظهارها عادية الى أبعد الحدود :

ـ سأنزل امتعتي .

همت بفتح الباب ، فمنعها قائلاً :

ـ لنعرف أولاً أين هو جون .

أرادت مطالبته بعدم الاهتمام بها وبشؤونها الخاصة ، لأنها قادرة

تماماً على معالجة أمورها بنفسها . ولكن عزلة المخيم الرهيبة منعتها من ذلك ، وحملتها على السير معه نحو ذلك الكوخ الصغير . وجدا الباب مفتوحاً ، فتنحى اندريه جانباً ليدعها تدخل قبله .

يا لسخرية الأقدار ! هذه هي اللحظة التي تحلم بها منذ فترة طويلة . . . لحظة عبورها الى بيتها الزوجي . كانت تمضي لياليها بكاملها ، وهي تتصور اللقاء الرائع وترسم تفاصيله السعيدة في مخيلتها . دهشة جون ، فرحته العارمة ، استعجاله بالذهاب الى أقرب رجل دين لمباركة زواجهما ، وعودتهما على جناح السرعة الى جنة الأحلام والسعادة ، كان سيحملها بين ذراعيه ، ويعبر بها عتبة بيت المستقبل بحب وحنان . تباً لهذه الظروف !

فعوضاً عن أن تكون الآن مع جون ، تجد نفسها واقفة قرب رجل غريب يتفجر رجولة وجاذبية . وبدلاً من أن تبدأ منذ هذه اللحظات بنسيانه وتركيز اهتمامها على بيتها الزوجي ، ها هي تشعر مرة أخرى بتلك النار المتأججة في داخلها . . . بماذا يقيدها هذا الرجل ، وكيف يتمكن من ازعاجها على هذا الشكل ؟ استدارت نحوه لتعرف ردّ فعله على مشاعرها ، فلم تشاهد في نظرات أو تعابير وجهه ما يشير الى أنه مهتم بما يجول في رأسها من أفكار متضاربة وآراء متضاربة .

تعمدت الهاء نفسها بالتطلع حولها ، علّها تجد في هذا البيت الصغير السلوى والعزاء . . . والقليل من راحة البال . لاحظت وجود غرفتين ، فدخلتهما الواحدة تلو الأخرى ، أعجبتها نظافتهما ، ولكن الفوضى . . . آه ما أروع هذه الفوضى ، لأنها ذكرتها به . . . ونقلتها من الخيال الى الواقع ، ومن مجرد التصور الى الحقيقة الثابتة . أوه ، كم تحبه ! كادت تنسى كل شيء خلال اليومين الماضيين ، بسبب هذا العملاق المتهجرف . . . اندريه كونورز ! ولكن وجودها

الآن في بيت جون . . . في بيتها أيضاً ، جعلها تدرك فجأة مدى تعلقها بخطيبها وشوقها اليه . تقزم اندريه أمامها ، فابتسمت بارتياح وقالت :

- يمكنك أن تتركني الآن . سانتظر جون هنا لحين عودته .

- سأتركك عندما أجد الفرصة مناسبة لذلك .

غادر الكوخ الصغير ليبحث على ما يبدو عن جون أو أحد الرجال الذين يعملون معه . اراحها غيابه المؤقت قليلاً ، فقررت القاء نظرة هادئة على بيتها الزوجي . كوخ صغير يضم غرفتين فقط ، وليس فيه إلاّ المفروشات الأساسية الضرورية . . . لا يناسب إلاّ عازباً ليست لديه متطلبات كثيرة ومتعددة .

تساءلت للمرة الأولى بجدية عما اذا كان وصولها هكذا بشكل مفاجيء ، خطوة حكيمة أو عاقلة ، اليس من المحتمل أن جون يخطط لبناء بيت كبير لهما ، قبل اقدامهما على الزواج ؟ ربما . . . ولكن صغر هذا المكان لن يشكل عائقاً في وجه سعادتهما . ستحوله الى بيت حقيقي . . . ستطلب كمية كبيرة من الأقمشة الجيدة لاعداد ستائر جديدة ، ستضع سجادة ملونة على الأرض ، وستستبدل السرير الصغير بآخر مزدوج . اما في غضون ذلك . . . ماذا يهمها اكثر من الزواج ، والعيش معاً بسعادة وهناء !

ولكن العزلة القاتلة . . . آه منها ، انها المشكلة الكبرى ! ماذا ستفعل طوال النهار ، أثناء وجوده في العمل ؟ ستنتظر عودته على أحر من الجمر ، وستعوض أثناء الليل عما يفوتها خلال النهار ! ماذا عن الآن ؟ هل تبدأ بافراغ حقيبتها وكيسها ؟ سمعت حركة قرب الباب ، فالتفتت بسرعة لتشاهد رجلاً طويل القامة عريض المنكبين . . . يتأملها بتمعن واغراء . سألته بلهفة :

- هل وجدت جون ؟

- لا ، ولكني أعرف مكان وجوده .

افزعتها البرودة الجافة في نبرة صوته ، ولكنها سيطرت على أعصابها وقالت :

- عظيم ، رائع ! اذن . . . الوداع ، يا اندريه .

- لا ، يبدو انني مضطر لابقائك معي فترة اضافية .

- ماذا ؟

- ستأتين معي .

حدّقت به مذهولة . . . لا تصدق عينيها أو اذنيها ، ولم تعد تسمع سوى نبضات قلبها ، وأنفاسها المتقطعة . سألته بصوت مرتجف :

- هل . . . هل حدث شيء . . . لجون ؟

- لا ، انه يقوم برحلة تفقدية استطلاعية .

تنفست الصعداء ، ثم تنهدت وقالت :

- اوه . . . ، لا بأس اذن . سأنتظره هنا لحين عودته .

- لن يعود هذه الليلة . هيا ، يا سالي ، تحركي .

- هل ستأخذني الى فندق ؟

بدا اندريه ، وكأنه متضايق من تصرفات هذه الفتاة الصغيرة . نظر اليها وقد عيل صبره ، ثم قال بمزيج من الحدة والسخرية :

- فندق ! سآخذك الى مزرعتي .

- لا ! لا ، لن أذهب معك !

- بل ستأتين يا صغيرتي .

إن لم يكن معتاداً من قبل على العصيان والتمرد ، فهذا ما ستفعله معه الآن . رفعت رأسها بعنفوان بالغ ، وقالت :

- لا يمكنك ارغامي على ذلك .

- متأكدة .

دان صوته ناعما . . . ولكن اليدين اللتين انقضتا بسرعة رهيبة على ذراعيها وأمسكتا بهما ، كانتا بعيدتين كل البعد عن الرقة والحنان والشفقة . جذبها نحوه كفراشة صغيرة ، وبدون أي عناء أو كلل وقال لها :

ـ ستفعلين ما أقوله لك .

حاولت عبثاً التملص منه ، وهي تقول بصوت مرتعش :

ـ لا ! لا أقدر على ذلك !

ـ يا لك من مزيج غريب عجيب ، لا يمكك أبداً التسلل الى شاحنة انسان لا تعرفينه . . . وبعد ساعات طويلة معه ، تتراجعين بغضب عارم لمجرد التفكير بتمضية ليلة واحدة داخل منزله .

همست بصوت ينضح كرهاً وحقداً :

ـ لماذا تتحدث بمثل هذه البشاعة عن كل شيء ؟ انك أخبث وأحط انسان عرفته في حياتي !

ـ وأنت بالتأكيد اكثر الناس سخافة وغباء .

ـ اعتقد أنني تصرفت بغباء ، ولكني لست مضطرة أبداً لزيادة الأمور سوءاً .

ـ صحيح ، ولهذا فعليك أخذ أمتعتك والتوقف عن اضاعة وقتي .

هزت رأسها بعزة واباء قائلة :

ـ لن أتحرك من هنا شبراً واحداً .

ـ سأمنحك دقيقة واحدة لا غير .

ماذا سيفعل فيها لو تحدته وتمردت عليه ؟ أعجبتها الفكرة الى حد ما ، فقالت له :

ـ لا يمكنك ارغامي على الذهاب معك !

ـ هل ترمين قفاز التحدي والمبارزة في وجهي ؟

ضمها نحوه بسهولة فائقة ، على الرغم من محاولاتها الفاشلة للتملص منه ، ثم قال لها بلهجة ساخرة :

ـ استغرب اذا كانت لدى جون أي فكرة على الاطلاق عما سيواجهه معك .

يا لقساوته . . . وتعجرفه ! انه يعاقبها . . . ويحاول اذلالها . . . ليثبت لها من هو السيد المطاع ! ولكن قربها منه على هذا النحو ، جعلها تنسى كرهها له . . . وعندما أبعدها عنه بعد قليل ، نظرت اليه كمتوسلة تطلب المزيد من الصدقة والاحسان . أحست بأن الدماء نضبت في عروقها ، وحاولت دراسة ملامح وجهه والدخول الى اعماق عقله وتفكيره ، ولكن قناعاً غريباً أفشل محاولاتها ورد نظراتها على أعقابها . تطلعت الى عينيه فلم تفهم منهما شيئاً ، بسبب تلك البرودة الرهيبة التي تغطيهما . نظرت الى فمه ، فرأته يتحرك بطريقة مرعبة . . . وسمعت صوتاً ساخراً يخرج منه كخنجر حاد :

ـ أظن انك أصبحت مستعدة الآن للذهاب ، أليس كذلك ؟

ثارت ثائرتها بشكل لم تعرف له مثيلاً في أي وقت مضى ، وأحست برغبة جامحة لتوجيه صفعة قاسية اليه . كيف يجرؤ على معاملتها هكذا ! كأنها هرة صغيرة لا حول لها . . . يلعب بها ويغيظها متى شاء ، ثم يرميها بلامبالاة . انه يعرف بالتأكيد ان لديه القدرة على اغاظتها وازعاجها ، ويستغل هذه القدرة الهدامة لتحطيمها . . . لمعاقبتها على التسلل الى شاحنته والتجرؤ على الحضور الى شخص يعتقد انها لا تناسبه . ستذيقه لأول مرة في حياته طعم الرفض والتحدي . قالت له بلهجة باردة :

ـ لا ! لا ، لن أذهب معك ! هل تظن ان هذا العرض الصغير التافه الذي قدمته لتوك ، سيغير موقفي ؟

نظر اليها بعينين تشتعلان ناراً ، ثم اقترب منها مجدداً وقال :

- يبدو انك تفضلين أساليب العنف ، ولكنك لا تعرفين كما مدى تخطئين ، يا صغيرتي .

فشلت جميع محاولاتها لمقاومته ، فهو يتمتع بقوة هائلة . جرها الى خارج الكوخ بطريقة تخلو من أي رقة أو شفقة ، ثم رماها داخل الشاحنة بعنف بالغ . قذف أمتعتها الى الصندوق الكبير ، وقفز بسرعة الى مكان السائق . أدارت وجهها عنه ، كيلا يرى الدموع الحارة التي تترقرق من عينيها . كانت دموع سخط وغضب ، وليس دموع ألم واشفاق على الذات . أغضبتها قساوته ووحشيته . . . وأغضبتها أكثر من ذلك نفسها ومشاعرها الضعيفة الخائنة . فمع أنها تكرهه بسبب معاملته الفظة والخشنة لها ، إلاّ انها مطيعة وصاغرة له . لقد حدث لها شيء ما في اليومين الاخيرين . . . شيء لا تعرفه أو تقدر على تحليله وتفسيره . . . شيء تحتقر نفسها بسببه . ولكن . . . لماذا هذا الضعف الشديد أمامه ؟

سألته بعد تجفيف دموعها والتقاط أنفاسها :

- إلى أين تأخذني الآن ؟

- إلى بيتي . ألم أقل لك ذلك ؟

- ماذا سيقول جون عن هذا الأمر ؟

- هل تسألين عما اذا كان سيدعوني الى المبارزة والقتال ، لأنني أخذتك الى عريني ؟ لا يا عزيزتي لن يفعل ذلك . سيكون سعيداً لأنني قمت بالشيء الوحيد المحتمل في مثل هذه الظروف .

سألته بصوت هامس حزين :

- لماذا ؟ لماذا لم تتركني في حوض التماسيح ؟

- لأن ما من انسان ، حتى أنا ، يمكنه السماح لطفلة غبية بالبقاء وحيدة في مخيم منعزل داخل منطقة تعج بالحيوانات الضارية . هذا هو السبب .

- انا قادرة على الاهتمام بنفسي .

- هل تعرفين أوضاع هذه المناطق على حقيقتها ؟

هزت رأسها نفياً ، وقالت :

- ولكنني متأكدة من قدرتي على معالجة مشاكلي بدون الاستعانة بأحد . انا مضطرة لتعلم ذلك ، عاجلاً أم آجلاً . ثم . . . لا شك في أن المنطقة ليست خالية تماماً .

- ليس فيها الآن أي انسان على الاطلاق .

- ضيوف . . . سياح . . . عمال . . .

- لا أحد أبداً . انها منطقة يحافظ عليها مالكها حباً بها وبحيواناتها ، وليس بسبب الأرباح الضئيلة التي يحصل عليها من السياح .

دهشت واحتارت فيما يقوله لها هذا الرجل . علقت بصوت متردد :

- ولكنني تصورت . . . قال لي جون في رسائله أن السياح يحضرون الى هنا لمشاهدة الحيوانات وتصويرها .

- صحيح ، ولكن بأعداد قليلة وفي فترات متقطعة . ثمة فرق كبير بين حوض التماسيح والحديقة الوطنية ، يا سالي .

اوه ، كم يؤثر عليها استخدامه اسمها على هذا النحو ! قالت له :

- أعرف ذلك . ولكن ، أين بقية الحراس ؟

- مع جون .

اذن . . . كان تصرفه معها بداعي القلق عليها والاهتمام بها . انه قادر احياناً على تطعيم وحشيته وقساوته ، بشيء من الليونة والحنان . قالت له :

- كنت تفكر بي . . .

ضحك بانفعال ، وقاطعها قائلاً :

ـ بك ؟ أي شيء قد يحدث لك ، لا يكون إلّا بسبب تصرفاتك . . . وأنت مسؤولة عنه ، لا،كنت افكر بجون .

سألته بحدة وعصبية :

ـ ألا يهمك أبداً اذا افترسني أسد ؟

تأملها بعينين قاسيتين ، ثم قال لها بلهجة خالية من أي عطف أو حنان :

ـ جون هو الذي سيهمه الأمر !

٧ ـ سأقتلعك من الجذور

كان بامكانها الرد عليه بقسوة جارحة ، ولكنها سيطرت على اعصابها انقاذاً لماء الوجه . فما من معركة تخوضها ضد اندريه كونورز ، إلّا وتنتهي بفوزه . . . وخسارتها . مهما بلغت حدّة جوابها ، فلن تكون كلماتها كافية لمواجهة تلك الملاحظة الشريرة الأخيرة . فضلت الرد على تعليقه الخبيث بالاحتقار الصامت الذي يستحقه .

انها في الوقت الحاضر رهينة هذا الرجل الفظ ، الذي يبدو من تصرفاته القاسية المتعجرفة انه لا يعرف معنى المدنية والحضارة . ستبوء جميع محاولات التصدي له بالفشل الذريع ، لأنه سيقتلعها من جذورها كما تفعل الرياح العاتية مع شجيرة صغيرة ضعيفة . لم يعد

أمامها الآن إلاّ أن تأمل في عودة مبكرة لجون ، كي تتمكن من نسيان هذا الكابوس المزعج وتبدأ في التأقلم مع حياتها الجديدة بهدوء وسكينة .

الصمت التام ! يا له من دواء ناجح في مثل هذه الحالات المزعجة ! لم يقل لها اندريه شيئاً عن المسافة التي تفصلهما عن مزرعته ، ولا هي سألته . ماذا ينفع السؤال ، عندما يكون الانسان مجبراً على اطاعة الأوامر دونما اعتراض أو مناقشة . انها الآن بين يديه . . . بالمعنى المجازي فقط ، ولكنها لن تسمح له أبداً بعد اليوم بأي شيء آخر . ستقف له بالمرصاد ، حتى ولو كلفتها المقاومة الضارية حياتها . . . ومهما طالبت عواطفها بالاستسلام له !

ركزت نظراتها واهتمامها على المناظر الطبيعية الخلابة ، فأنستها بعض أحزانها وجعلتها تفهم إلى حد كبير هذا الجمال الساحر الذي جذب جون الى منطقة كحوض التماسيح . انه ليس جمالاً عادياً بالمعنى التقليدي ، أو كما يظهر في البطاقات السياحية الملونة ، ولكنه وحشي مثير يسلب العقل ويفعم الخيال والنفس بالحيوية والبهجة . هذه هي أدغال أفريقيا كما كانت منذ مئات السنين ، وقبل اقتحام المدنية لمعاقلها وأسوارها . لا حياة هنا إلاّ للقوي والقادر . . . انها معركة البقاء !

تعهدت سالي لنفسها بأنها ستكون من الأقوياء ، وستثبت لأندريه انه مخطىء تماماً في اعتبارها فتاة ضعيفة مدللة . ولكنها تساءلت بانفعال شديد عن سبب هذه الرغبة الجامحة ، طالما انها تريد طرده من حياتها وأفكارها . . . وطالما أنها تحتقره وتزدريه ! ألم تعد قادرة على التفكير بهدوء وروية ، وبأمور لا علاقة لها اطلاقاً بهذا الرجل اللعين ؟

تحولت الشاحنة الى الطريق العام ، فشعرت سالي أنها تدخل عالماً

آخر . عادت مناظر الحقول والبساتين ، وغابات الأشجار المخصصة لصناعة الأخشاب . لا شك في أنهما أصبحا الآن على مقربة من منزل اندريه ، ومكان عمله . لم يقل لها شيئاً عندما انعطف عن الطريق الرئيسية الى أخرى ترابية ، وتؤدي الى بوابة حديدية ضخمة تحمل الاسم الجميل . . . أرض الصنوبر .

تأملته سالي وهو ينزل من الشاحنة ويفتح البوابة على مصراعيها ، فتأكد لها عندئذ بوضوح تام انه يعمل في مجالي التشجير وصناعة الأخشاب . تأملت طريقة مشيته القوية ، التي توحي بثقة كبيرة في النفس وبقدرة فائقة على تحمل الصعاب ومجابهة الأخطار .

أدخل الشاحنة الى أرض الصنوبر ، ثم أقفل البوابة الكبيرة وتابع طريقه نحو المنزل . . . دونما أي تعليق أو كلمة . أحست سالي برغبة قوية لتوجيه عدد كبير من الأسئلة ، ولكن عزة نفسها منعتها من ذلك . . . مع انها لم تمنعها من مراقبة هذه المنطقة التي تضج بالنشاط والحركة .

هنا شاحنات مختلفة الأحجام والأوزان محملة بكميات ضخمة من جذوع الأشجار ، وهناك مجموعة من الحطابين والحمالين يشربون الشاي ، وهنالك كلاب حراسة تقوم بدوريات منتظمة للمحافظة على المنطقة والمقيمين فيها . ولاحظت سالي كيف يلوح الرجال بأيديهم ويرفعون قبعاتهم تحية واحتراماً . . . للسيد كونورز . اتضح لها من تلك الابتسامات العريضة التي ترحب بوصوله ، ان اندريه رجل يعرف كيف يجمع بين المقدرة والانصاف . . . وكيف يمسك بزمام الأمور بطريقة تضمن له نتائج باهرة ، وطاعة عمياء مبنية على المحبة وليس على الخوف .

تساءلت مرة اخرى عما اذا كان بامكان النساء أيضاً التمتع باطاعة أوامره ، شأنهن في ذلك شأن الرجال ! ربما . . . ولكنها لن تكون

احداهن ! لن تعيش مرتاحة على الاطلاق ، اذا اضطرتها ظروف معينة للعمل بموجب أوامره أو تعليماته ! ما بالها تعود إلى التفكير به وبأوامره ! فلديها جون الذي تعرف أن حياتها معه ستكون سهلة وهادئة ومفعمة بالحب والحنان . . . تماماً كما كانت عليه منذ أيام الطفولة .

أما بالنسبة الى المرأة التي تختار العيش مع اندريه . . . وتحبه ويحبها . . . فكيف ستكون حياتها ؟ حاولت سالي تجاهل الطعنة الصغيرة المؤلمة التي أحس بها قلبها ، عندما أدركت باقتناع راسخ أن هذا هو السؤال الذي لن تتمكن أبداً من معرفة جوابه .

برز المنزل فجأة أمامها ، فحبست سالي أنفاسها لصعوبة اخفاء اعجابها . . . ولخوفها في الوقت ذاته من كشف خبايا مشاعرها له . انه أشبه بالقصور . . . يشرف على سفح جبل تغطيه أشجار الصنوبر بكثافة مذهلة ، وتحيط بجدرانه البيضاء الرائعة من ثلاثة جوانب حديقة غناء تضم أجمل أنواع الزهر . هل هذا هو المكان الذي يقيم فيه اندريه كونورز ؟

كانت تظن ان بيته مختلف كل الاختلاف عما هو عليه من جمال الهندسة وحسن الذوق ، هل يعقل أن يكون لهذا الرجل القاسي مثل هذا المنزل ، الذي يعتبر رمزاً للفن والابداع ؟ أوقف الشاحنة ونظر اليها بارتياح ، فأحست أنها مخطئة في تقييمها له . هذا البيت الرائع هو الانعكاس الحقيقي لشخصيته القوية . . .

نسيت في تلك اللحظة تحفظها تجاهه ، فقالت ببساطة وبراءة :

ـ انه جميل جداً .

ـ يسرني أنه اعجبك ، يا سالي .

لم تسمع في صوته أو تشاهد في عينيه أية سخرية أو تهكم ، بل حرارة ومودة غير متوقعتين . الدفء والحنان مع هذا الرجل المتحجر

القلب ، شيئان نادران . . . ورائعان للغاية . ولكن هذا السحر لم يدم سوى بضع لحظات ، اذ عاد الى تركيز اهتمامه على الطريق لقطع المسافة القصيرة المتبقية .

أقبل جميع الخدم لتحية صاحب البيت العائد ، بالمحبة والاحترام ذاتهما اللذين لاحظتهما قبل قليل في وجوه العمال وعيونهم . كلهم مسرورون بعودته . . .

أخذتها مديرة المنزل ، ماريا الى غرفتها وأبلغتها بأن الغداء سيكون جاهزاً خلال نصف ساعة . أحست سالي بكثير من الارتياح لوجود أشخاص آخرين في هذا المنزل ، على الرغم من أن الوضع الحالي سخيف جداً فيما لو تمت مقارنته بأحداث اليومين السابقين .

تسللت الى شاحنة رجل لا تعرفه ، دونما اعتبار للمظاهر أو المضاعفات . . . وأمضت معه ليلة بكاملها على مقعد ضيق وتحت غطاء واحد . . . وها هي الآن تشعر بالارتياح والأمان لوجود أناس آخرين في مثل هذا القصر الكبير ، الذي يضم بالتأكيد أكثر من خمس غرف نوم وعدد من القاعات والممرات . لن يكون اندريه كونورز وحده الذي سيقول لها انها تأخرت كثيراً في العودة الى رشدها . فهي نفسها أحست بسخافة تفكيرها ، وعدم جدوى قلقها أو فزعها . ومع ذلك ، فان مجرد وجود خدم في هذا البيت يمنحها شعوراً بالاطمئنان والراحة . هل يعقل أنها ليست خائفة من اندريه ، بل من عدم قدرتها بعد الآن على كبح جماح رغباتها وأحلامها ؟ هل هي واثقة تماماً من أن قلبها لن يخونها ، فيما لو حصل الآن أي احتكاك مماثل لما جرى معها سابقاً .

تفأ لهذه الأفكار والتساؤلات المنافية للعقل وللمنطق ! لا يمكنها اضاعة المزيد من الوقت ، اذ عليها التوجه الى قاعة الطعام خلال أقل من خمس وعشرين دقيقة . خلعت ثيابها بسرعة ودخلت الى

www.rewity.com
RAYAHEEN

الحمّام الداخلي . . . الذي أعجبها كالغرفة المخصصة لها . لم تر الشيء الكثير من هذا المنزل ، إلاّ أن الذي رأته حتى الآن يوحي بالذوق الرفيع والسخاء . الستائر والسجاد وغطاء السرير ، وحتى مناشف الحمام ، ذات ألوان جميلة هادئة . . . وتتناسق مع بعضها كلوحة زيتية لفنان مرهف الحس رقيق المشاعر . اناقة جذابة وبعيدة عن التكلف ، وجودة في العمل حتى الاتقان التام . . .

هل هو متزوج ؟ لم تسأله . . . ربما لأنها خائفة من الجواب ! من المؤكد انه ليس متزوجاً ، وإلاّ لكانت سيدة القصر واقفة أمام الباب لاستقبال زوجها وضمه الى صدرها . ولكن . . . اليس ممكناً أيضاً ان زوجته لا تعرف موعد عودته ، وانها تقوم الآن بنزهة على ظهر حصانها أو تقود سيارتها السريعة الى أقرب قرية لابتياع بعض الحاجيات ؟ لو انها زوجته ، لما كانت تركت البيت أبداً . . . وظلت قابعة فيه لحين عودته .

كفى ، كفى ! خرجت من الحمّام بانفعال شديد ، وأخذت تجفف نفسها بخشونة وعصبية . أصبح عقلها كقلبها . . . لا يمكن التكهن بتصرفاته أو التحكم باندفاعه . كم سيضحك عليها اندريه وزوجته ، فيما لو علما بما يجول في خاطرها من أفكار وآراء ! قد يكونان الآن غارقين في الضحك ، وهو يروي لها قصة العروس النافذة الصبر التي تسللت مع فستان زواجها الى شقة رجل غريب !

انتهت من تجفيف نفسها ، ففتحت حقيبتها وراحت تقلب ثيابها لاختيار أفضلها وأجملها . لم يكن يهمها قبل دقائق معدودة سوى خلع ثيابها الوسخة ، واستبدالها بأخرى نظيفة منعشة . اما الآن ، فمن الأهمية بمكان أن تبدو انيقة . . . وسمعت صوتاً خفياً يضيف كلمة الجمال الى الأناقة . قد يسخر منها اندريه كونورز وزوجته ،

ولكنها ستفرض عليهما احترامها . لن تسمح لهما أو لغيرهما بالقول انها عروس لا تليق بجون .

وقفت أمام المرآة لتتأمل بارتياح النتائج التي توصلت اليها ، مع انها لم تكن أبداً من النوع الذي يهتم بالمظاهر الخارجية الى هذه الدرجة . قد يصر اندريه على رأيه ، ولكن ذلك المتعجرف لن يتطرس سيراها . . . ولهذه المرة فقط . . . في ذروة أناقتها وتبرجها .

تذكرت بصعوبة الارشادات التي أعطتها اياها ماريا للوصول الى قاعة الطعام . دخلت تلك الغرفة الفسيحة فلم تجد احداً ، ولكنها لاحظت بسرعة ان المائدة معدة لثلاثة أشخاص . سمعت أصواتاً في الخارج ، أعقبتها على الفور ضحكة اندريه المرحة . أخذت نفساً عميقاً ، وكأنها تشجع نفسها على مواجهة محنة رهيبة ، ثم خرجت الى الشرفة .

توقف الحديث فور ظهورها ، واستدار نحوها وجهان . . . لرجل يدعى اندريه وامرأة لا بدّ وأنها زوجته . دعاها للانضمام اليهما ، فلم تتمكن من التحرك . اصطكت ركبتاها ، وأحست بأنها على وشك الانهيار ، كانت تتوقع أن يكون متزوجاً ، فلماذا الشعور بالصدمة ؟ هل لأن الصورة التي رسمتها في ذهنها عن زوجة اندريه ، تختلف عن الحقيقة والواقع ؟ هل جعلها الجمال الفائق لهذه المرأة تشعر بالضعف . . . أو بعقد نفسية هي بغنى عنها ؟ مهما كان الأمر ، فكيف تفسر الصدمة التي اصيبت بها ؟

ستحاول فهم الموضوع على حقيقته ، عندما تعود الى غرفتها في وقت لاحق . نظرت اليها السيدة الجذابة بعينين فاحصتين ، وقالت لها ببرودة :

- المتسللة الصغيرة ! يا لها من فكرة جريئة وغير عادية !

شعرت سالي بأن هذه الامرأة تتهمها ضمناً بالغباء والرعونة . . . وقد تكون على حق . فهل من الممكن مثلاً أن تلجأ سيدة مثلها الى وسيلة نقل مماثلة ، مهما كانت الظروف ؟ الا يفسر هذا الأمر طريقة تصرف اندريه تجاهها ؟ جلست قربها ، وهي تتمتم قائلة :

ـ الغاية احياناً تبرر الوسيلة .

شاهدت بريقاً خاطفاً في عينيه . هل أعجبه الجواب ، أم أغضبه تجرؤها على استفزاز زوجته ؟ مهما كان الأمر ، فقد سبق السيف العذل . . . وعليها الآن تقديم واجب الشكر لهذه الامرأة على حسن ضيافتها . قالت لها بلهجة أكثر وداً :

ـ انا ممتنة لقبولك استضافتي ، يا سيدة كونورز .

ـ انا لست السيدة كونورز .

قفز قلبها من مكانه ، ولكنها تمكنت من اخفاء فرحتها العارمة . لم يتدخل اندريه لتوضيح الأمور ، فقالت له السيدة الرائعة الجمال بصوت دافىء حنون :

ـ يبدو أنك أهملت واجباً اجتماعياً ضرورياً ، أيها الحبيب .

لم تعش فرحتها طويلاً ، اذ أوحت لها الكلمة الأخيرة بأن هذه الامرأة الجذابة لم تصبح بعد زوجة اندريه . . . ولكنها على وشك ذلك ، سمعته يقدمها الى بعضها ، مكتفياً بذكر الأسمين :

ـ برباره سنكلير . . . سالي أوبريان .

سألها عن نوع الشراب الذي تفضله قبل الغداء ، فطلبت كوباً من عصير الليمون . . . وليقولا عنها ما يريدان . انهما يعتبرانها في أي حال ، طفلة صغيرة أو فتاة مراهقة غبية .

احضر لها كوب العصير ، فوجدت فيه حلاً ولو جزئياً لمشكلتها الحالية . ركزت نظراتها عليه كي تخفي الارتباك الذي يشتعل في داخلها ، والألم الذي يحز في نفسها . عاد اندريه وبرباره الى

الحديث ، الذي كانا يتبادلانه قبل وصولها الى الشرفة . ولاحظت سالي بمرارة ان السيدة الجميلة توجه الحديث حسب مشيئتها ، وتحاول عمداً عدم اشتراك الضيفة الشابة فيه .

في أي حال ، لم يكن بامكانها المشاركة في هذه الأحاديث . . . حتى ولو أرادت ذلك . فهي تتناول أماكن تجهلها وأشخاصاً لا تعرفهم . ولكن العلاقة الحميمة كانت واضحة للغاية . . . وضحكات اندريه توحي بأنه يتمتع بأحاديث صديقته المرحة والشيقة .

دخل الثلاثة الى القاعة ، فقدمت لهم ماريا ومساعدتها أطباق الطعام ثم انسحبتا بهدوء وانتظام . سألتها برباره ببرودة :

ـ هل ستطيلين البقاء هنا ، يا آنسة ؟

فوجئت سالي باللهجة العدائية التي لم تحاول برباره اخفاءها كثيراً ، وتساءلت عما اذا كان اندريه قد تعمّد عدم اطلاع صديقته على السبب الحقيقي لمجيئها الى هذه المنطقة . قالت لها :

ـ اوه ، لا ، سأتزوج من جون لانج . تصورت انك تعرفين . . .

توقفت عن اتمام جملتها ، عندما شاهدت النظرة الغريبة التي وجهتها برباره نحو اندريه . ولكن صوتاً في داخلها دفعها الى المضي في القول ، وبقوة :

ـ اني الآن بانتظار عودته .

ـ اوه ، انه لخبر مثير حقاً ! اندريه حبيبي ، الا تعتقد أن متسللتك الصغيرة هي أفضل زوجة لحارس الحيوانات البرية ؟

احست سالي بوجود مودة في لهجة برباره ، واستعدت لتحمل أحد تعليقات اندريه اللاذعة . ولكنه رفع حاجبيه بعصبية ، ثم اكتفى بالقول :

- ألا تريدين مزيداً من الذرة ، يا بربارة ؟

ودعتها بربارة سنكلير بعد فترة قصيرة من انتهاء الغداء ، وبعد توجيه دعوة لأندريه لتناول العشاء معها . . . في بيتها . . . ليلة الأحد . تأملت سالي صاحبة القد الجميل ، وهي تغادر الساحة الكبيرة أمام منزل اندريه بسيارة سباق حمراء اللون ، ثم التفتت نحو سيد القصر . بدا متجهم الوجه ومتوتر الملامح والأعصاب ، وعادت الى عينيه تلك القساوة المألوفة والعنجهية المعهودة . لم تعد تعرف ماذا تفعل ، فقررت الابتعاد عنه بطريقة مهذبة هادئة . قالت له ، بعد فترة صمت طويلة :

- اعتقد انني سأقوم بنزهة في الحديقة . هل لديك أي مانع ؟

- هل تركبين الخيل ؟

- نعم .

- انا ذاهب الآن الى المعمل . اذا كنت راغبة في مرافقتي فسوف تعد لك ماريا الثياب الضرورية لذلك .

ارتبكت . . . وترددت ، فقال لها بشيء من الحدة ونفاد الصبر :

- هيا ، قرري !

لم تتردد هذه المرة . لو لم يكن راغباً في ذهابها معه ، لما كان دعاها الى ذلك . ابتسمت وقالت :

- بكل سرور .

لم تدرك مدى اتساع عينيه الزرقاوين الجميلتين ، والبريق الأخاذ الذي كان ينطلق منهما ، ولكنها رأت تلك القساوة المرعبة في عينيه وتعابير وجهه . اختفت ابتسامتها ، وشعرت بانقباض شديد حبس أنفاسها وأرهق أعصابها . رفضت التراجع عن رأيها وقرارها ، فثمة دافع قوي في داخلها يصر على معرفة المزيد عن هذا الرجل وحياته . . . قبل مغادرتها أرض الصنوبر .

لاحظت سالي أن الملابس المخصصة لركوب الخيل تناسبها تماماً . هل هي لبربارة ؟ واذا كانت فعلاً لها ، فأي ملابس أخرى تركتها هنا أيضاً ؟ آلمها تصورها لاحتمال وجود ثياب هذه المرأة في منزل اندريه . . . وربما في غرفة نومه بالذات . سرحت شعرها بانفعال شديد . بسبب هذه الأفكار المزعجة التي تبرز في رأسها بين الحين والآخر .

خرجت من البيت ، فوجدت اندريه بانتظارها قرب جوادين اصيلين رائعين . ساعدها على ركوب حصانها ، مع انها لم تكن بحاجة لأي مساعدة . جعلتها اليدان القويتان اللتان رفعتاها الى ظهر الحصان تشعر بأنها . . . انثى ، وتحظى برعاية رجل قوي قادر .

نسيت بربارة وكل شيء يتعلق بها ، وركزت اهتمامها على الطريق التي تؤدي الى الغابات . كانت تفصل بينهما بضع خطوات ، فتمكنت من مراقبته عن كثب . احست بسرور دافيء وهي تتأمل هذا الرجل الذي يعرف كيف يمسك بزمام الأمور في كافة المجالات والممارسات . وزاد من ارتياحها ذلك النسيم العليل ، والروائح الشذية العطرة ، وجمال الطبيعة الساحر . وشعرت سالي بسعادة لم تعرف لها مثيلاً منذ فترة طويلة .

نزلا عن جواديهما أمام المعمل الضخم ، فهرع مديره للترحيب باندريه والتحدث معه . . . فيما راحت سالي تتطلع حولها باعجاب بالغ . كان المعمل يضج حركة ونشاطاً والجو عابقاً برائحة الخشب . العمل جار على قدم وساق ، وعلى أعلى مستويات الكفاية والتنظيم . ومع ذلك ، كان يخيم على المعمل والعمال شعور بالطمأنينة والسكينة لا تعرفه مصانع المدن . انها الطبيعة . . . والقيادة الحكيمة والعادلة لأندريه كونورز !

انهى صاحب المعمل حديثه وتعليماته ، ثم دعاها للقيام بجولة استطلاعية في الداخل . اعجبت باسلوبه السلس الممتع ، وبطريقة شرحه التفصيلي لطبيعة العمليات والأشغال التي تقوم بها هذه المعامل . لم تكن تعلم شيئاً تقريباً عن الجهود الجبارة والمراحل الطويلة ، التي تتطلبها وتمر فيها عملية صناعة الأخشاب ، انه الآن اندريه جديد يختلف تماماً عن الرجل الآخر ، الذي كان يجرحها بسياط كلماته القاسية والسامة أو يفجر في قلبها عواطف مجنونة . اندريه الجديد يحب عمله ويكرس حياته لمهنته . اندريه الذي تراه أمامها الآن يفتخر ويعتز بكل شبر من أرضه وغاباته ، وبكل قطعة من معداته . . . وأهم من ذلك كله ، معاملته لجميع العاملين معه وبخدمته .

لم يتحدثا أبداً أثناء عودتهما الى بيته ، ولكن الصمت بدا لأول مرة خالياً من التوتر والانزعاج . . . وكأن كلا منهما غارق في أفكاره وتأملاته . ركزت سالي تفكيرها على أحداث اليومين الماضيين . . . قرية ستريمز ، الرحلة المجنونة ، أرض الصنوبر ، وحوض التماسيح . شعرت فجأة بعذاب الضمير ، لأنها لم تفكر بجون منذ ساعات . يا لهذه التطورات المثيرة ، وسرعة تلاحقها على هذا النحو المذهل !

لو انها وصلت الى ستريمز قبل يوم واحد ، أو بعد يومين ، لكانت استقلت سيارة الركاب الكبيرة وتوجهت مباشرة الى خطيبها . ولكنه القدر . . .

في أي حال ، لم يتغير بالطبع أي شيء اساسي . سوف تتزوج جون ، وسيعملان معاً على تدعيم علاقتهما وتوطيدها . لن يعرف خطيبها أبداً بالفوضى والارتباك النفسيين الرهيبين اللذين تعرضت لهما خلال اليومين الماضيين . اما فيما يتعلق بها شخصياً ، فهي تعرف

تماماً ان نظرتها الى الحياة لن تعود أبداً الى ما كانت عليه . . . قبل هذا اللقاء مع اندريه !

www.rewity.com ^RAYAHEEN^

٨- تعال إليّ

خرجا من منطقة الغابات، ليجدا الظلال تغطي مساحات كبيرة من السهول. كان الحصانان متشوقين للعودة، فأطلق اندريه العنان لجواده ولحقت به سالي بدون تردد. لم تلاحظ انها ضحكت بصوت مرتفع، وان الهواء حمل الصوت الى الرجل الذي يتقدمها ببضع خطوات. كل ما كانت تعرفه هو أنها مسرورة لوجودها على ظهر حصان سريع، والهواء يدغدغ شعرها برقة ونعومة.

وصلا الى ساحة الاسطبل، فنزل اندريه عن حصانه واقترب منها لمساعدتها على النزول. رفعها برفق واوقفها على قدميها، فضحكت له وقالت بلهجة دافئة:

- شكراً. كانت رحلة جميلة للغاية.

- هذا يسرني.

كانت الكلمتان بسيطتين ونبرة صوته عادية جداً، ولكن يديه ظلتا ممسكتين بخصرها ونظراته مركزة على عينيها. احست فجأة بضعف في رجليها، فحبست انفاسها بانتظار سماع كلمات اخرى اقل بساطة. الاّ ان صوت حوافر حصان يعدو بسرعة، جعلهما يستديران نحو الطريق.

انزل اندريه يديه فوراً، فيما اوقفت صبية جميلة حصانها قربهما وقفزت على ظهره كخيال متمرس. ابتسم اندريه وقال مرحباً:

- أهلا، ليندي.

ردت له الابتسامة بالمثل، وقالت:

- كيف حالك، يا اندريه؟ علمت ظهراً برجوعك الى ارض الصنوبر.

- يا لسرعة تنقل الاخبار هذه الأيام!

ضحكت الفتاة بطريقة اكسبتها على الفور مودة سالي واعجابها. قالت لأندريه:

- كيف لا، وبربارة سنكلير هي التي تتولى هذه المهمة!

ثم اضافت بلهجة اكثر جدية:

- طلب مني ابي احضار التقرير الخاص بالجياد. اجابها اندريه مداعباً، وباسلوب يوحي ببراءة علاقته مع هذه الصبية:

- كان بامكانه الانتظار حتى يوم غد. في اي حال، شكراً لك ولوالدك العزيز.

ثم استدار نحو سالي، وقال:

- ليندي، اعرفك بسالي.

- اهلا، سالي.

اعجبت بابتسامتها الرقيقة الودودة، فتعزز اعتقادها وشعورها

بانها ستحب هذه الفتاة. ارتفعت معنوياتها كثيراً، لمجرد علمها بان شابة طيبة في مثل سنها تعيش في هذه المنطقة. تأكد لها قبل ساعات قليلة، انها لن تجد في بربارة سنكلير اي خصائص او صفات قد تعجبها او تقبل بها. ولكن ليندي، ذات الابتسامات الرقيقة الصافية والنفسية النقية الخالية من اي حقد او تعقيد، ستكون صديقة مخلصة. حيتها بابتسامة لا تقل نقاء واخلاصاً، فيما كان اندريه يفتح فمه ليقول لها:

ـ هيا معنا الى البيت، فقهوة ماريا اللذيذة بانتظارنا.

ـ بكل سرور.

ثم تطلعت نحو سالي، وقالت بشيء من الاستغراب:

ـ تحدثت بربارة عن شابة اتت الى هذه المنطقة عن طريق التسلل. من المؤكد انها لم تكن تعنيك انت، يا سالي!

حاولت سالي قدر المستطاع اخفاء امتعاضها، وقالت:

ـ بلى، يا عزيزتي، انا المعنية بهذا الكلام.

افتر ثغرها عن ابتسامة عريضة، وقالت باعجاب واضح:

ـ حقاً؟ يا له من امر مثير للغاية!

لا بدّ لها من الاعتراف... ولو بتردد وايجاز، قالت:

ـ لم تخل بالطبع من بعض اللحظات المثيرة.

تطلعت نحو اندريه بطريقة لا شعورية، فلاحظت انه يتأملها بطريقة لم تتمكن من تحديدها او تحليلها. سخرية؟ مداعبة؟ لا، ليس تماماً... وربما بمزيج من هذين الشعورين ومعهما شيء آخر. حز الألم في نفسها وقلبها على حد سواء. هل يتذكر الآن تلك اللحظات التي امضياها قرب البركة الصغيرة، عندما لامس شعرها البلل وجفقه لها بتلك الحركات التي ربما تعمدها ان تكون مثيرة للعواطف؟ ام انه يتذكر الطريقة التي عانقها بها في حوض

التماسيح، قبل جرها وراءه نحو الشاحنة؟ توقفت عن الاسترسال في تساؤلاتها المؤلمة، عندما سمعت ليندي تقول لها:

ـ هل تنوين البقاء هنا؟ اوه، اني اتمنى ذلك من صميم قلبي... اذ يمكننا اقامة صداقة متينة فيما بيننا.

سيطرت سالي على مشاعرها المتوترة، وارغمت نفسها على الابتسام ثم قالت:

ـ طبعاً سنصبح صديقتين، يا ليندي، ولكنني لن اكون هنا في ارض الصنوبر.

ـ اوه؟

ـ سأقيم في حوض التماسيح، لأنني سأتزوج من جون لانج.

لم تعلق ليندي بشيء على هذا التصريح، الذي بدا مفاجئاً لها. ومع ان سالي لاحظت اختفاء ذلك البريق المنير في عيني صديقتها المحتملة، الا انها هي نفسها كانت لا تزال مصابة بذهول شديد بحيث انها لم تفهم مغزى ذلك الاستغراب او معناه. قطع اندريه الصمت المخيم على الشابتين بالقول:

ـ هيا بنا الآن الى البيت، لنشرب القهوة.

قالت له ليندي بصوت يحمل في طياته الكثير من الارتباك والتوتر:

ـ لا، شكراً، يا اندريه. لم اكن افكر... بتعقل... عندما قلت...

ترددت لحظة، ثم اضافت:

ـ الوقت متأخر، ولديّ بعض المهام الأخرى التي يجب القيام بها قبل حلول الظلام.

قال لها اندريه بلهجة رقيقة ناعمة، لم تسمع سالي مثلها من قبل:

ـ كما تريدين، يا ليندي: انقلي الى والدك تحياتي الحارة وشكري الجزيل.

ودعتها ليندي بابتسامة مهذبة، ثم قفزت الى ظهر حصانها اختفت عن الانظار خلال لحظات. شعرت سالي، وهي تمشي قرب هذا الرجل القوي، بعقم كافة محاولاتها الجادة لابعاده عن تفكيرها. ها هي تقع مجدداً تحت تأثير رجولته الفذة وجاذبيته الساحرة، وتشعر بارتباك شديد وحاد في احاسيسها وعواطفها. هل يمكن لحديث عادي لا يتعلق بها، التخفيف قليلاً من حدّة التوتر الجاثم على علاقتهما؟ قد لا تنفعها هذه المحاولة الجديدة، ولكنها بالتأكيد لن تضرها. قالت له، وهي تشير بيدها الى الجهة التي اختفت فيها ليندي قبل لحظات معدودة:

ـ انها تعجبني، وارجو مخلصة ان تقوم بيننا صداقة قوية ومتينة.

اطلق اندريه تلك الضحكة الخفيفة التي تضج سحراً واغراء، فتطلعت نحوه باستغراب وقلق. كان ضوء النهار لا يزال كافياً، بحيث سمح لها بمشاهدة نظراته الساخرة تتأملها وتدرس ملامح وجهها. تعمد التركيز بعض الوقت على عينيها ثم تحول الى عنقها وشعرها... قالت له، وهي تحاول اخفاء الارتعاش في صوتها:

ـ اندريه! لماذا... لماذا تضحك؟

ـ الا تعرفين حقاً لماذا؟

حاولت الرد عليه، ولكنه امسك بذقنها ورفع وجهها نحوه قائلا:

ـ لديك كل صفات المرأة المكتملة، الا انك لا تزالين في بعض الامور اكثر طفولة مما كنت اعتقد... يا سالي الصغيرة.

سالي الصغيرة! لو قال هاتين الكلمتين شخص آخر غير اندريه كونورز، لكانتا رفيقتين ناعمتين. ولكن الرقة والنعومة ليستا من صفات هذا الرجل، ذي النظرات الفولاذية القاسية والملامح الشيطانية المزعجة... التي اخذت تبدو اكثر جاذبية وسحراً في عينيها! قالت له بعصبية:

ـ اتصور انك تقارن بيني وبين بربارة!

ضحك مرة اخرى وقال لها، فيما كانت نظراته الحادة تتفحص قدها الجميل:

ـ المقارنة غير واردة اطلاقاً، فما من وجه شبه بينكما الا من حيث بعض الأشياء الظاهرة.

أدارت وجهها عنه، ثم ابتعدت خطوات قليلة... وهي مغمضة العينين تأثراً وانفعالاً. لا توجد، على ما يبدو، اي حدود لسخريته اللاذعة ورغبته القوية في طعن فؤادها بسهام ملاحظاته الجارحة والسامة. فرحت ضمناً لأنه لن يحصل الا على ما يستحقه، عندما يتزوج بربارة سنكلير. غطرسة وقساوة من جانبه، جمال بارد وتكبر خال من الشعور من جانبها... يا لهما من شخصين يناسبان بعضهما بشكل مذهل! سيجد كل منهما في الآخر ما تصبو اليه النفس... ستكون لاندريه زوجة تساعدها خبرتها وحنكتها على القيام بدور المضيف الناجح للذين سيدعوهم الى قصر الصنوبر، فيما ستكتفي هي بكونها زوجة رجل ثري وسيدة هذه المنطقة الكبيرة والرائعة. لن يعلما انهما لن يعرفا طعم السعادة الحقيقية. الحب والمشاركة والديمومة، هي الصفات التي ستشكل العناصر الأساسية والجوهرية لزواجها من جون.

لينعما ببعضهما، وليعمل كل منهما على تحطيم الآخر... هذا شأنهما، وليس لها اي علاقة بالأمر. ولكن... لماذا تؤلمها الى هذه الدرجة صورة بربارة سنكلير كزوجة لأندريه... كالمرأة التي ستنفرد بحبه واهتمامه ورعايته؟

تناولا العشاء صامتين. كان الطعام بسيطاً وعادياً، ولكنه شهي ولذيذ الطعم. مع ذلك فقد ارغمت سالي نفسها على تناوله بشكل طبيعي. اندريه مقتنع بأنها جائعة، نظراً لتلك الرحلة الطويلة

الى قلعتها بها الى معمله والهواء النقي المنعش الذي تتشقاه في غابات الصنوبر. اي تقاعس او تردد من جانبها عن اكمال طعامها، سيحفزه على توجيه المزيد من الملاحظات القارسة والكلمات الجارحة... الأمر الذي نالت منه حتى الآن قسطاً وافراً يكفيها مدى العمر.

انتهى العشاء، فقال لها اندريه انه مضطر للاطلاع على بعض الأوراق الهامة واجراء اتصالات هاتفية ضرورية. اكدت له انها ستجد ما يسليها ويرفه عنها، فيما كانت تقول لنفسها ضمناً انها مرتاحة لذهابه وابتعاده عنها... بحيث تتمكن من خلع القناع المستعار الذي تخفي وراءه حقيقة مشاعرها وانفعالاتها.

فكرت بالذهاب فوراً الى غرفتها وبعدم تمضية اي وقت في قاعة الجلوس، وذلك كيلا تراه خارجاً من مكتبه المحاذي لهذه القاعة. تمنت لو انها لا تراه ابداً بعد الآن، ولكن هذه الأمنية صعبة المنال الى درجة الاستحالة. فكيف يمكنها الحؤول دون قيام علاقات اجتماعية مع اندريه... او بالاحرى مع اندريه وبربارة؟ اذا تمكنت من تقزيم حجم هذه العلاقة الى ادنى حد ممكن، فسوف تصبح اكثر قدرة على تحمل مضاعفاتها.

آه، كم تتمنى عودة جون في الصباح... كي تغادر هذا المكان الى غير رجعة! هنيئاً لك، يا بربارة سنكلير، بهذا القصر وسيده!

تطلعت حولها في تلك الغرفة الجميلة، فأحست بما يقرب من الاختناق بين جدرانها الاربعة. كيف يمكنها ان تنام الآن في هذا الوقت المبكر، وهي لا تشعر بأي نعاس او ارهاق على الاطلاق؟ تجلس وتقرأ؟ ماذا ستقرأ وهل ستتمكن من التركيز على اي كتاب قد تجده؟

اخرجت سترة صيفية جميلة من حقيبتها، ثم ارتدتها وخرجت من الغرفة. كان البيت الكبير هادئاً للغاية، ولم تر اي ضوء سوى ذلك الذي يتسلل تحت باب مغلق لغرفة لا بدّ وانها مكتب اندريه. توقفت لحظة امام هذا الباب، ثم سارت بسرعة نحو باب آخر يؤدي الى الحديقة.

الجو رائع، والسماء الصافية تعج بالنجوم المتلألئة، ونسيم الليل يعبق بالروائح العطرة الذكية، والسكينة الشاعرية الحالمة ترفرف فوق هذا المكان فتزيده جمالا وبهجة. انها الطبيعة الخلابة في ذروة حسنها وقمة سحرها. ولولا الظروف الحالية، لكانت سالي الآن مرتاحة جداً وتشعر بسعادة فائقة.

الا ان قلبها يتألم ويتعذب، ويتوق الى اشياء تجهلها. وكذلك افكارها واحاسيسها، فهي تتخبط بفوضى عارمة دونما اي سبب منطقي او مبرر واضح. لا! يتحتم عليها منذ هذه اللحظة بالذات وضع حد نهائي لمثل هذه الاحاسيس الغريبة والغامضة، فخطيبها سيعود بعد يوم او يومين... وستصبح زوجة جون لانج قبل نهاية الاسبوع. ومع ان اليوم الذي تنتظره على احر من الجمر اصبح على قاب قوسين او ادنى، فهي تشعر الآن بانها اقل استعداداً من اي وقت مضى لمواجهة هذه الخطوة الجبارة.

هل تحب جون؟ سؤال لا مبرر له اطلاقاً... فهي تحب جون منذ سنوات عديدة جداً، بحيث انها غير قادرة على تذكر وقت لم تكن تحبه فيه. احست فجأة بان مجرد التساؤل عما اذا كانت تحبه ام لا، هو دليل على عدم الاخلاص. فجون يحبها ايضاً، وسيصاب بألم فظيع فيما لو اشتم رائحة هذه الشكوك التي تهاجمها الآن بضراوة وشراسة. لن يفهم ابداً كيف يمكنها ان تحب انساناً الى درجة كبيرة تشعر معها بانها جزء منه، وتسمح في الوقت ذاته لرجل آخر بالتمادي الى الحد الذي تضعف فيه كلية امامه...

جعلها اندريه تشعر منذ اللقاء الاول بأنها تضج حياة وعافية...

اشعل في نفسها مشاعر وردود فعل لم تكن تعرفها او تتصورها من قبل. يمكنها الآن الاعتراف بذلك بدون خجل او ارتباك، فالوحدة والانفراد يسمحان لها بالقاء نظرة موضوعية هادئة على عواطفها واحاسيسها. لا شك في انها تجاوبت مع رجولة اندريه وجاذبيته، فتمردت على عقلها وتقاليدها تلك الانوثة البدائية. هل هي نادمة على هذه التحولات والتطورات المفاجئة؟ نعم، ولكن الندم موجود فقط في عقلها وتفكيرها... وليس في قلبها أو رغباتها.

ستحاول قدر امكانها تفادي مقابلته، لحين مغادرتها بيته... فاي تعرض جديد لتلك الجاذبية الساحرة المدمرة لن يؤدي الاّ الى تعميق شعورها بالخسارة، عندما يحين وقت ذهابها.

هذا الفراق اللعين! يجب حصوله، وبسرعة، حتى ولو لم يكن جون جزءاً من هذه القضية. هل نسيت بربارة؟ هل نسيت ذلك الايحاء الواضح بانها لم تصبح بعد زوجة اندريه؟ لا تكبرها الاّ بسنتين او ثلاث، ولكن المقارنة غير واردة اطلاقاً بين جمالها العادي الهادىء... وجمال بربارة الساحر. فحتى لو قررت منافستها على قلب اندريه، فالنتيجة معروفة سلفاً... والخسارة المؤلمة المذلة مضمونة تماماً بالنسبة اليها.

حلت فجأة في عقلها صورة شابة اخرى... ليندي. نعم، ليندي... صاحبة الوجه الجميل الذي اختفت منه تلك الابتسامة الصافية الرائعة، لمجرد ذكر اسم جون. ربما كانت شاردة الذهن خلال تلك اللحظات العسيرة، ولم تتمكن آنذاك من استيعاب الدلائل الجلية لاستياء ليندي. اليس ممكناً ان ليندي تحب جون؟ واذا كان الأمر كذلك، الا يشكل هذا الامر معضلة جديدة... يصعب حلها او تخطيها؟

تنهدت سالي بحسرة واسى، وتساءلت عما اذا كان جون على علم

بمشاعر ليندي تجاهه. من المحتمل جداً انه لا يعرف شيئاً عن ذلك، تماماً كاندريه... الذي لن يعرف ابداً حقيقة شعورها هي تجاهه. يا لها من حلقة فارغة... كئيبة ورهيبة! شخص يحب ولا يحظى باي مقابل... يتألم كثيراً ولا يقدر على البوح بمشاعره... يتعذب ومسبب العذاب يجهل كل شيء!

اعجبتها ليندي منذ اللحظة الاولى، ويهمها كثيراً الاّ تلحق بها اي عذاب او الم. ولكن، ما حيلتها في هذا الامر! سترفض ليندي بعنف اي محاولات من جانبها للايضاح او تقديم الاعتذار... وستضطر بالتالي لمعالجة مشكلتها بنفسها وبدون مساعدة سالي.

اوه، كم هي سريعة ومتلاحقة هذه الاحداث البالغة الاهمية! لم تترك مدينتها وبيتها الاّ منذ ايام فقط، ولم تكن تفكر عندئذ الاّ بالتخلي عن حياة المدينة الصاخبة مقابل هدوء الريف وسكونه! ماذا كانت النتيجة؟ سلسلة لا تنتهي من المشاكل والتعقيدات، قد تحول سعادة شخصين على الاقل الى بؤس وشقاء... ونعيمهما الى جحيم!

سارت قليلا نحو نهاية الحديقة، ثم استدارت يميناً باتجاه الساحة الامامية للمنزل. لمح على بعد خطوات منها ضوء سيكارة مشتعلة، فتوقفت ثم همت بالذهاب الى الجهة المعاكسة. سمعت صوت اندريه يأتيها صافياً رناناً من تلك الزاوية المظلمة:

- هل انت ذاهبة الى مكان ما؟

كان اقرب اليها مما تصورت، فاجابته بصوت مرتجف:

- عائدة الى البيت.

- بسببي انا؟

- طبعاً لا!

- انا اخيفك.

www.rewity.com ARAYAHEEN

اللعنة على هذا الرجل! لم يوجه هاتين الكلمتين المزعجتين على شكل سؤال، ولكنه قالهما كحقيقة واقعة... وبتلك السخرية اللاذعة التي لم تعد قادرة على تحملها. لن تدعه يتمتع بتفوقه الواضح عليها، او بقدرته الهائلة على ازعاجها واخافتها. قالت له ببرودة كاذبة:

- يبدو انك تحب اطراء نفسك كثيراً.

- حقاً؟ تعالي الى هنا.

- لا!

امسك بذراعها وقال:

- بل. الم تتعلمي ابداً التصرف بتهذيب مع مضيفك؟

- انت لست مضيفي... اعني... انني موجودة هنا بسبب ظروف معينة... وليس لأنك تريد... استضافتي.

علق على كلامها بلهجة ناعمة رقيقة، ادت الى احمرار فوري في وجنتيها ورعشة في اوصالها:

- وماذا تعرفين عما اريده او لا اريده، يا صغيرتي؟

- لقد اوضحت حقيقة مشاعرك تجاهي منذ البداية. هل سيأتي جون غداً؟

- ربما. هل انت متشوقة كثيراً لرؤيته؟

- طبعاً! ما هذا السؤال الغريب؟ اريد الزواج منه، وقطعت مئات الكيلومترات لأجل ذلك. طبعاً، انا متشوقة جداً لرؤيته.

ضحك بتهكم جمد الدم في عروقها، وقال:

- جملة توضيحية طويلة، مع ان كلمة نعم وحدها كانت ستكفي للرد على سؤالي. مد يده الأخرى الى شعرها، واضاف قائلا:

- هل تعرفين ماذا يعني الاندفاع في الاعتراض والإحتجاج؟

انزل يده الى عنقها، فلم تعد قادرة على التفكير بهدوء وروية...

ولكنها قالت:

- لا... نعم... اعني... انا لا احتج!

- لن نجادل في هذه المسألة.

كان قريباً منها لدرجة كبيرة، بحيث أخذت انفاسه الحارة تدغدغ خدها المشتعل ارتباكاً... احست بضعف شديد في اطرافها كافة، وبرغبة مجنونة في الهرب. اعدت نفسها لذلك ولكنها سمعته يقول لها:

- حدثيني عن جون.

- انت... انت... تعرف جون.

- اعرف رجلاً يعمل كحارس لحيوانات برية نادرة، ولكني اريد معرفة بعض الأمور الاخرى عن هذا الرجل الذي يتمكن من حمل فتاة مثلك على القيام برحلة أو مغامرة كهذه لتكون قربه.

اجابته بصوت لا يزال شبه هامس:

- اننا... اننا مخطوبان.

- سألتك عن جون، وليس عنكما.

- انسان قوي وطيب ورقيق القلب ووسيم و...

توقفت لحظة عن اتمام جملتها، ثم اضافت بانفعال واضح:

- انه يتمتع بكل الصفات التي تفتقر اليها انت، يا اندريه كونورز.

تقلص جسمه فجأة، ثم ضحك وسألها بسخريته المعتادة:

- ومنذ متى تحبينه؟

- منذ طفولتي. لا أتوقع منك، يا اندريه، انه تفهم هذا الموضوع على حقيقته. ولكن جون كان صديقي، ورفيقي، واخي... وسيصبح الآن زوجي.

- الفتاة لا تتزوج شقيقها، ايتها الهرة الشرسة.

- انه ليس شقيقي!

- هل خطر ببالك مرة انك تعرفين جون على نحو غير عادي؟

اربكها سؤاله الغريب وتلك الرقة القاتلة في صوته، فردت عليها بحدة:

- لا اعرف الهدف من وراء هذا الايحاء، يا اندريه كونورز. ولكني احب جون... كنت دائماً احبه، وهو يحبني.

- تتحدثين عن الحب بكل ثقة واقتناع. انت متأكدة جداً من حبك له، يا سالي. ولكن... هل انت متأكدة بالنسبة ذاتها من حبه لك؟

احست بالم شديد في قلبها... وصدمة كهربائية عنيفة في كافة انحاء جسمها. لن تسمح له بالسيطرة عليها، والتمتع بتحقيرها واذلالها! اجابته بسرعة، وبلهجة قاسية:

- متأكدة تماماً.

- لم تشاهديه منذ سنة كاملة، اليس كذلك؟

ارادت الابتعاد عنه وابلاغه بان اسئلته مهينة، ولا يحق له في المقام الاول التدخل في شؤونها الخاصة. ولكنها لم تتمكن من التحرك، واصابعه القوية مطبقة على عنقها، قالت له:

- انت تعلم...

قاطعها بلهجة عادية هادئة، ولكنها تحمل الكثير من المعاني الهامة:

- قد تكون الأمور تغيرت الى درجة كبيرة منذ ذلك الحين.

فهمت على التو ماذا كان يقصد، فقالت:

- انت تفكر بليندي. لم تفتني... بعد ظهر اليوم ملاحظة الكيفية التي...

- اذن...

اجابته بنبرة حزينة الى حد ما:

- سوف تتمكن ليندي من تجاوز هذه المشكلة، وستلتقي شخصاً آخر. ليست هذه الأمور غريبة او نادرة، فكثيراً ما يحدث ان يقع انسان في الحب و... وتكون مشاعر الغرام... من جانب واحد.

كما انا احبك، ايها اللعين! هكذا صرخ قلبها بصورة مفاجئة، ولكنها هزت رأسها بعصبية بالغة وكأنها تحاول نفي هذه الحقيقة المرة التي يستحيل الاعتراف بها. لم يتمكن اندريه، وربما للمرة الاولى، من فهم للمغزى الكامن وراء كلماتها وحركة رأسها. سألها بهدوء مذهل:

- اذن، انت متأكدة؟

كادت الدموع تنهمر من عينيها وتفضح مشاعرها، ولكنها سيطرت على نفسها وقالت:

- نعم. جون... لم يتغير؟

- هل تغيرت انت؟

سؤال بسيط للغاية، ولكنه بدا مع ذلك كضربة قاضية الى ثقتها وقدرتها الذاتية... والى التوقعات التي كانت تقبلها حتى الآن بدون اي تساؤل او تشكيك. كادت تقول له انها تغيرت.. نتيجة لدخوله القوي وغير المتوقع في حياتها، ولكنها ارتبكت وفضلت الصمت سألها ثانية:

- اذن؟ هل تغيرت؟

لا بدّ لها من اجابته بالنفي.. لأجل جون، واحتراماً لتلك العلاقة القائمة بينهما منذ ايام الطفولة. قالت له بصوت هامس:

- لا، لم اتغير...

ترددت لحظة، ثم اضافت:

- ... ولن اتغير ابداً.

ضغطت اصابعه على عنقها وضحك بصوت قاس وتهكمي، ثم قال:

- كلمة ابداً تعني وقتاً طويلا للغاية. ستتعلمين ذلك عندما تنضجين فكرياً وتصبحين راشدة.

- انا ناضجة فكرياً وراشدة.

- وتعتقدين انك تعرفين الجواب الصحيح لأي سؤال قد يطرح عليك. اخبريني، ماذا ستفعلين في حوض التماسيح. ستمضين معظم وقتك وحيدة، بعد انتهاء شهر العسل.

ها هو يستفزها مجدداً! عليها اتخاذ جانب الحيطة والحذر، والاّ فسوف يحطمها بدون شفقة او رحمة. قالت له بلهجة الواثق من نفسه.

- سأجد اشياء كثيرة تهمني وتسليني.

- هل تحبين الحيوانات؟

تسرعت بالاجابة، ولم تنتبه الى ذلك الاّ بعدما قالت له:

- نعم. كانت الحيوانات دائماً مثار اهتمام جون واعجابه، وقد علمت نفسي بالتالي أن احذو حذوه.

- سألتك عما اذا كنت انت تحبين الحيوانات.

- طبعاً. في اي حال، ليس هذا الامر بالموضوع الهام... بغض النظر عن الكيفية التي تنظر بها اليه.

قال لها باللهجة القاسية ذاتها، التي برزت في جملته السابقة:

- اعتقد انه موضوع هام جداً. انت تركضين وراء الاوهام، واتصور جازماً ان زواجكما لن ينجح.

صرخت بوجهه، وهي تحاول الافلات من قبضته الفولاذية:

- لا اريد سماع المزيد!

- لما لا؟ هل انت خائفة من يقظتك فجأة من احلام الطفولة؟ لن

تظلي امينة لجون اكثر من شهر واحد بعد زواجكما.

استشاطت غضباً فرفعت يدها لتصفع وجهه، صارخة:

- كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام!

كان اسرع منها بكثير، فامسك بيدها وطوقها بذراعيه القويتين الحديديتين ثم ضمها اليه بشكل لم تشهد مثله سابقاً... قائلا:

- سأريك كيف اجرؤ.

فهمست بصوت معذب:

- اندريه...

- نعم؟

كان صوته قاسيا جداً، كملامح وجهه ونظراته، فاصيبت بذهول شديد. نسيت كلماته الهازئة، وسخريته اللاذعة، وتصرفاته السيئة:

- هل تريدين المزيد من الاثباتات؟

اشتعلت غضباً وحنقاً، فتمردت كرامتها على رغباتها وعزة نفسها على عواطفها الجياشة. اذلها... قزمها... حط من قدرها... وحقرها... لكي يثبت لها جملة تافهة قالها لها. دفعته عنها بقوة لم تكن تعرف انها تملكها، وركضت نحو البيت. لم يحاول منعها، او الاعتذار منها، او حتى توجيه كلمة رقيقة لها. لا، لن يفعل اندريه كونورز ذلك! لا مبرر لأي شيء من هذا القبيل، فهو مقتنع برأيه المتعجرف اللعين.

رمت نفسها على سريرها، وراحت تحدق بسقف الغرفة شاردة الذهن ومتوترة الاعصاب. لماذا قال لها انها لن تظل مخلصة لجون الاّ لشهر واحد بعد زواجهما؟ هل اقنعته محاولته لاثبات نظريته، بأنها فتاة تافهة تمنح نفسها لكل من يرغب؟ هل سيتبدل اقتناعه هذا، اذا عرف السبب الحقيقي لاستسلامها وتجاوبها؟ هل سينظر اليها من

زاوية مختلفة، اذا علم بأنها تحبه كما لم تحب احدا اخر في حياتها. . . وبأنه دخل قلبها وعقلها وأحاسيسها، وخلال هذه الفترة القصيرة، بهيمنة مريعة جعلتها لا تفكر الاّ فيه. . . حتى اثناء النوم؟ هل سيقبل باعادة النظر في تقييمه السلبي لها، اذا فهم انها تحبه. . . ولا تعرف طعم السعادة الاّ عندما يكون قربها؟

ربما. . . ربما، ولكنها تفضل الاّ يعلم. يجب الاّ يعرف ابداً حقيقة مشاعرها تجاهه. لقد وصلت الى مرحلة متقدمة جداً في علاقتها مع جون، بحيث انها لم تعد قادرة على التراجع او الانسحاب. تحب اندريه. . . نعم! تحبه بطريقة مجنونة لا تعرف معنى المنطق، ولكنها احبت جون ايضاً. . . ولو بصورة مختلفة. احبته دائماً. . . وستظل تحبه. . . وستكون مخلصة له.

سوف تتزوج جون خلال هذا الاسبوع، على ابعد تقدير، وستعيش معه في حوض التماسيح. . . وتبذل جهدها بصدق وامانة لاسعاده. قد تضطر احياناً لمقابلة اندريه في مناسبات اجتماعية، ولكنها ستحاول قدر استطاعتها تجنبه وتفاديه. لن يكون ذلك سهلاً. ولكن حياتها ستكون اكثر عذاباً وتعقيداً فيما لو عرف بحبها له.

اغمضت عينيها ووجهت نداء صامتاً الى خطيبها:

ـ تعال الي بسرعة، يا جون، فلن أتحمل الصمود طويلاً. . . وانا مع اندريه كونورز في بيت واحد!

٩ـ بعيد عن العين. . .

تناولت سالي فطورها على انفراد، فاحست بكثير من الارتياح لعدم وجوده قربها. . . واضطرارها بالتالي لمواجهة نظراته وتلميحاته.

تأخرت كثيراً في نومها، فلم تجد في قاعة الطعام سوى ماريا. . . التي أبلغتها بأن السيد كونورز توجه الى المعمل باكراً، بعد اصدار التعليمات الى الجميع للاهتمام بالضيفة الكريمة والسهر على راحتها لحين عودته قبل موعد الغداء ببعض الوقت. استغربت هذه الرعاية الخاصة وغير المتوقعة، لانها ليست من شيمته أو طبائعه. لا بدّ وانه يتبع تقليداً معيناً بالنسبة لقواعد الضيافة وأصولها، ومع أي شخص يستضيفه.

www.rewity.com ^RAYAHEEN^

وصلت بربارة سنكلير فيما كانت سالي على وشك الانتهاء من تناول طعامها ، فأحست رغماً عنها بالانزعاج من جمالها الرائع وأناقتها الفائقة . حيتها بابتسامة خبيثة ، وقالت لها بلهجة قاسية :

- انت أول متسللة أعرفها في حياتي تتصرف بمثل هذا الارتياح وكأنها في بيتها .

ردت عليها سالي ببرودة رقيقة ناعمة ، لم تعرف كيف صدرت عنها :

- انا مرتاحة جداً ، الحمدلله . وشكراً .

ارتبكت بربارة قليلاً لأنها ، على ما يبدو ، لم تكن تتوقع مثل هذه الاجابة المهذبة . ولكن الدهشة لم تطل كثيراً ، وحل محلها الغضب والانفعال اللذان كانا واضحين جداً عندما سألتها :

- متى ستذهبين الى حوض التماسيح ؟

- بمجرد عودة جون .

- ولكن عودته قد تتأخر اياماً !

- ربما .

- ألا يهمك أنك تحاولين الايقاع باندريه أثناء ذلك .

شعرت سالي بالاشمئزاز الشديد ، نتيجة لهذه الكلمات القاسية والنظرات الحاقدة التي كانت توجهها بربارة من عينيها الباردتين المزعجتين . مسكين اندريه ، لأنه سيتزوج هذه المخلوقة الشريرة ! قد يكون متعجرفاً ومتكبراً وكثير الاعتداد بنفسه ، ولكن تلك الساعات القليلة التي امضياها بعد ظهر اليوم الفائت في المعمل كشفت لها مدى جديته واستقامته في العمل . . . وحسن معاملته وتصرفه مع الموظفين والعمال . دفعها الغضب العارم وحب الانتقام في اليوم السابق الى تمني زواجهما كي يحطم كل منهما الآخر . اما الآن فمجرد تصور بربارة زوجة له يدخل الحزن والأسى الى قلبها . اوه ،

لماذا تحاول خداع نفسها ؟ ستشعر بالتعاسة والعذاب والألم . . . اذا تزوج اندريه أي امرأة على الاطلاق ، وليس بربارة فقط . قالت لها بهدوء ، رداً على سؤالها :

- اعتقد أن اندريه قادر تماماً على الاعتناء بنفسه . لو كان يشعر بهذا الاغراء المزعوم ، لبدرت عنه أشياء توحي بذلك .

- لن يقدم على أي أمر من هذا القبيل ، لأنه سيد مهذب ويحترم نفسه .

أحست سالي بأن اشمئزازها من بربارة يزداد لحظة بعد اخرى ، وكلما تطلعت اليها أو سمعتها تتفوه بكلمات كهذه . قالت لها بانفعال واضح :

- وأنا لست سيدة مهذبة تحترم نفسها ؟

- تذكري انك أنت قلت ذلك . . .

توقفت برهة ، ثم أضافت بلهجة حاقدة :

- اذا كانت تهمك مصلحتكما أنت وزوج المستقبل ، فاني اقترح عليك القيام ببعض الترتيبات الضرورية واللازمة .

- هل يعني ذلك انك تطالبينني بمغادرة أرض الصنوبر ؟

- بالضبط .

تأملت سالي وجه بربارة الجميل البارد ، ونظرات الكراهية التي تشع في عينيها القاسيتين ، وسألتها بهدوء مثير للأعصاب :

- غيروائقة أو متأكدة اطلاقاً من موقفك الحالي ، أليس كذلك ؟

شحب لونها وارتجف جسمها ، وبدت كنمرة شرسة تتأهب للانقضاض على فريستها . قالت لها بصوت مرتعش ينفث حمماً :

- انا متأكدة تماماً ، يا آنسة اوبريان . ولكنني لن أسمح أبداً لمخلوقة قليلة الحياء مثلك بتلطيخ السمعة الطيبة لما سيصبح قريباً بيتي الزوجي .

قالت لها سالي بصوت منخفض ، وهي تحاول جاهدة السيطرة على انفعالها المتفجر :

ـ انا لست متشردة أو قليلة الحياء ، يا بارباره سنكلير . ولكنك أنت أنانية ومتعجرفة وباردة ، ولا تستحقين رجلاً كاندريه .

ـ احذري من التهور ، يا سالي اوبريان . انا قادرة تماماً على تنغيص حياتك مع جون . ألا يكفي أن اندريه يحتقرك .

هل ضحكا عليها معاً ؟ هل أخبرها جميع التفاصيل ؟ أحست بألم حاد يعصر قلبها ويدمي فؤادها ، فأبعدت وجهها عن بارباره كيلا ترى الدموع الغاضبة التي بدأت تحرق عينيها . كانت تتصور قبل لحظات وجيزة انها قادرة على تحمل أي لقاءات اجتماعية مع اندريه وزوجته ، ولكنها اكتشفت الآن حتمية تجنبهما بصورة تامة . و . . .

سمعت بارباره تقول لها بتعال جارح :

ـ علي ابلاغك منذ الآن بأنه سيتم اختيار ضيوف هذا البيت بعناية فائقة ، بمجرد زواجي من اندريه .

رفعت سالي رأسها وقالت لها ببرودة مرعبة :

ـ سيكون ذلك من الحقوق والامتيازات التي يمنحك اياها الزواج .

أحست بارباره بوجوب مغادرة بيت اندريه على الفور ، وقبل حصول ما لا تحمد عقباه ففعلت ذلك بدون تردد أو كلمة وداع ، فيما كانت سالي تبدو متحفزة لصفعها أو ضربها بأي شيء تصل اليه يدها .

ستغادر أرض الصنوبر بأسرع وقت ممكن . . . ولكن السؤال الأهم ظل هو اياه . كيف ستذهب الى منطقة حوض التماسيح ، التي تبعد اكثر من أربعين كيلومتراً عن أرض الصنوبر ؟ هل تقطع هذه المسافة الطويلة سيراً على قدميها ، حتى ولو استغرق ذلك

ساعات عديدة ؟ لو كانت الظروف مختلفة عما هي عليه هذه المناطق التي تعج بالحيوانات البرية المفترسة ، لما ترددت لحظة واحدة . يمكنها التسلل الى ظهر شاحنة متجهة الى منطقة خطيبها . لا ! يكفيها ما حصل معها حتى الآن . قد ينسى الناس الحادثة الأولى مع مرور الزمن ، واذا سمحت لهم بارباره سنكلير بذلك . . . ولكنهم لن يغفروا لها أبداً الاقدام على خطوة مماثلة لا تفصل بينهما سوى ايام معدودة . سيؤثر تصرفها الأرعن على جون ، وقد يفقده وظيفته . لا ، لا يمكنها السماح بذلك . لا بدّ لها من انتظار عودة جون ، وممارسة ضبط النفس . . . والتحلي بالصبر .

اختارت بعض المجلات من قاعة الاستقبال ، وخرجت الى الشرفة . حاولت التركيز بعض الشيء على القراءة ، أو حتى على تأمل الصور ، ولكنها لم تستطع ذلك نظرا لتطلعها باستمرار نحو الغابة . . . والتفكير بما قالته لها بارباره سنكلير . شعرت بأنها لا تريد رؤية اندريه بعد الآن ، ومع ذلك كانت تتوقع عودته . . . بفارغ الصبر . يا له من موقف جنوني !

سمعت صوت محرك سيارة ، فهبت واقفة ووضعت يدها فوق عينيها لتحجب عنهما القليل من الضوء المتوهج . شاهدت شاحنة صغيرة تقترب من ساحة المنزل . . . ماذا ستقول لاندريه ، هل ستطلعه عما جرى مع بارباره ؟ لا ! توقفت السيارة ونزل سائقها ، فرمت سالي المجلات من يدها الأخرى وهرعت لاستقباله . انه جون .

ـ جون ! اوه ، جون ، انت هنا !

ألقت نفسها بين ذراعيه ، فضمها اليه بقوة ورفعها قليلاً عن الأرض . . . فيما كانت ذراعاها تطوقان عنقه . وقلبها يخفق بقوة مذهلة . أنزلها الى الأرض بنعومة ورقة ، وهي تقول له :

- جون ! اوه ، كم أنا سعيدة بمجيئك ! كيف علمت بوجودي هنا ؟

ابتسم وقال :

- يتناقل الناس هنا أخبار بعضهم بسرعة مذهلة . اوه ، سالي الحبيبة ، لم اتمكن بعد من تحيتك والترحيب بك .

- هل فوجئت بمجيئي ؟

ضحك قليلاً ، وقال :

- الى حد ما ، ايتها الحبيبة ! لماذا لم تخبريني مسبقاً بموعد وصولك ؟

- كنت خائفة من انك ستطالبني بمزيد من الانتظار ، فيما انا متأكدة من انه لا مبرر لذلك اطلاقاً . ثم . . . اردت مفاجأتك .

- من المؤكد انك نجحت في ذلك الى حد بعيد !

- ولكنك لم تغضب ، اليس كذلك ؟

لم يجبها . . . فحدقت بوجهه المألوف المحبب ، وتذكرت بسرعة البرق نقاء العلاقة القائمة بينهما وصفاءها . كانت دائماً مرتاحة معه ، ولم تشعر مرة واحدة إلاّ وانها جزء لا يتجزأ من هذا الرجل الطيب الحنون . ولكن . . . لماذا هذه اللهجة الجديدة ، التي لم تسمع مثلها من قبل ؟ احتارت ، وزاد ارتباكها واستغرابها عندما أحست انه تجاهل سؤالها عمداً . ترددت قليلاً ، ثم قالت :

- جون . . . هل أغضبتك بهذا القرار المفاجيء ؟

- هل غضبت منك مرة واحدة من قبل ، يا سالي ؟

كان اندريه سيدعوها في ظروف مماثلة . . . المرة الشرسة ، ولكن الرجل الواقف أمامها هو جون لانج وليس اندريه كونورز . لا تزال ابتسامته هي نفسها ، كما تعرفها منذ سنوات عديدة . . . وكذلك علاقتهما . ولكنها شعرت بضرورة الاعتذار له ، ولو لأول

مرة منذ تعرفها اليه . قالت له بصوت متأثر :

- لا . . . ولكن . . . اوه ، اعتقد انه كان علي ابلاغك مسبقاً عما اعتزم القيام به . جون . . . أتيت من ستريمز بواسطة التسلل . . . والاختباء في شاحنة . . .

- بدون التفكير بالمضاعفات والنتائج الناجمة عن ذلك .

اعترض على تصرفها ، ولكن اسلوبه في الرفض والاعتراض خلا من السخرية أو التهكم اللذين كانا سيظهران حتماً لو كان اندريه كونورز في موقع مماثل . سمعته يضيف قائلاً بنعومة ورقة :

- يجب الا يدهشك كلامي الى هذه الدرجة ، ايتها الحبيبة . لم تكن خطوتك تلك منطقية أو ذكية ، ولكنها انتهت على الأقل بشكل جيد . انا ممتن جداً لأن سائق الشاحنة كان اندريه وليس أي شخص آخر .

- أنت . . .

ارتبكت فجأة ، ولم تعد قادرة على متابعة كلامها . لن يكون ممتناً على الاطلاق ، لو عرف ماذا جرى بين خطيبته وصديقه . . . وكيفية شعورها نحو رجل آخر غيره . ولكنها لن تخبره ابداً . . . ابداً !

أمسك جون يدها وسارا معاً الى الشرفة ، للاحتماء بها من حرارة الشمس الحارقة . أعجبتها ملامسة يده وارتاحت لها ، فتذكرت فوراً عندما كانا يركضان معاً على هذا الشكل بحثاً عن العصافير أو الحيوانات الصغيرة التي تسرح وتمرح في الحقول المجاورة . ولكنها تضايقت من نفسها ، لأن ردّ فعلها اقتصر على الاعجاب والارتياح . . . بالمقارنة مع المشاعر التي تثيرها فيها ملامسة اندريه . قالت له ، وكأنها تدافع عن تلك المشاعر :

- اندريه كونورز انسان لا يطاق ولا يحتمل .

ابتسم جون وقال :

- هل هكذا حقاً تنظرين اليه ؟ سمعت النساء يستخدمن عبارات مختلفة تماماً في وصفهن له .

نساء . . . آه كم تؤلمها وتعذبها هذه الكلمة الواحدة ، عندما ترتبط باسم اندريه ! هل هي الغيرة ؟ تناست موضوع اندريه وسألته :

- هل سنذهب الآن الى حوض التماسيح ؟

- نعم .

- اتصور انه يتحتم علينا اذن ايجاد اندريه و . . . ابلاغه .

- انه يعرف ذلك ، فقد التقيته في معمله قبل حضوري الى هنا .

كيف كان رد فعله على عودة جون ، وهل وجه اليها أي رسالة مع الخطيب العائد ؟ يا لسخافتها وحماقتها ! هل من المعقول أو المنطق أن يقدم اندريه كونورز على أمر كهذا ؟ لا ، ولكن خيبة الأمل أنستها الحجة والبرهان ، وحرمت عقلها من التفكير بموضوعية وروية .

هزت رأسها وقالت :

- حسناً .

أرعبتها البرودة الجافة في نبرة صوتها ، فأضافت بلهجة أكثر اشراقاً :

- سأدخل بسرعة لاحضار أمتعتي .

- لا ، يا سالي .

- ماذا تقول ؟ امتعتي موجودة هنا . . . حقيبتي ، وثوب الزفاف ، و . . . وعلبة من الحلوى التي تحبها كثيراً .

- احضري علبة الحلوى ، واتركي بقية أمتعتك هنا . سأحتاج ، ايتها الحبيبة ، الى بضعة ايام لانهاء كافة الترتيبات الضرورية .

- اعلم ذلك ، ولكن . . . .

- وافق اندريه معي على انه من الأفضل لك البقاء هنا خلال هذه

الفترة . . .

حدقت به مذهولة ، وغير قادرة على اخفاء الارتعاش القوي الذي حل بها . لاحظ جون انفعالها الشديد ، فوضع يده برفق على رأسها وقال لها بحنان واضح :

- بضعة ايام فقط ، أيتها الحبيبة .

- ولكن أريد الذهاب معك ! أريد البقاء معك حتى آخر يوم في حياتي .

- لدينا متسع كافٍ من الوقت ، ايتها الحبيبة . سأحضر كل يوم لرؤيتك والتحدث معك . . . ما بك ، يا سالي ، تبدين مستاءة الى هذه الدرجة ؟ قلت لك انها مسألة ايام فقط .

- جون . . . لا أفهم ! لقد أمضينا طوال حياتنا معاً . ألم نمض مرة يومين كاملين وحدنا ، في خيمة نصبناها على بعد كيلومترات عديدة عن بيتنا ؟ من المؤكد انك تذكر ذلك !

نظر اليها بجدية ، وقال :

- طبعاً ، اذكر ذلك . ولكننا كنا صغيرين عندئذ ، يا سالي . انت الان امرأة ، ايتها الحبيبة ، وأنا رجل .

- لو كنا أي شخصين آخرين ، لكان الأمر مختلفاً . اما نحن . . .

لم تتمكن من ابلاغه بانها لا تنتظر منه سوى الاستمرار في علاقتهما الطاهرة والبريئة ، التي سيزيدها الزواج عمقاً وتوطيداً . لن تشعر بأي نزوات مجنونة أو رغبات هوجاء .

قال لها :

- ثمة مشاكل اخرى يجب اخذها بعين الاعتبار .

- وهنا في أرض الصنوبر ، الا توجد مشاكل أو أخطار ؟ اذا كنت انت رجلاً ، فماذا تسمي اندريه كونورز اذن ؟

www.rewity.com ARAKAHEENA

ـ كوخي صغير جداً لا توجد فيه سوى غرفة واحدة ، في حين ان قصر الصنوبر يعج بالغرف والقاعات . وقد اكد لي اندريه بأن ماريا ستنام هنا ، لطمأنتك والسهر على راحتك .

ماذا سينفع وجود حارس امين أو عدد الغرف والقاعات ، وكيف ستساعدها هذه الأمور على احتمال اندريه وتصرفاته ؟ هزت كتفيها بانفعال شديد ، فسمعت جون يقول لها بلهجة لا تقبل رفضاً أو اعتراضاً :

ـ لا تعقدي الأمور بالنسبة الي ، يا سالي .

تحدثا عن الأهل والأصدقاء ، وعن طبيعة الحياة في المدن والأرياف . وما ان ابتعدا قليلاً عن ارض الصنوبر وتأكد لسالي بانها لن تقابل اندريه لساعات عديدة على الأقل ، حتى قالت لخطيبها :

ـ لم تكن الزائر الأول هذا الصباح ، يا جون ، فقد سبقتك الى ذلك برباره سنكلير . هل تعرفها ؟

ـ ما من شخص هنا إلاّ ويعرف برباره .

ـ تصرفت معي بقساوة بالغة ، لأنها غير راضية أبداً عن وجودي في أرض الصنوبر .

ربت على يدها مطمئناً ومشجعاً ، ثم قال :

ـ لا تدعيها تثير أعصابك ، أيتها الحبيبة .

ـ قالت . . .

حاولت جاهدة استعادة أنفاسها ، فلم تنجح إلاّ جزئياً . أكملت جملتها بصوت متهدج :

ـ قالت انها ستتزوج اندريه .

ـ كلنا نعرف ان برباره تلاحقه منذ فترة طويلة .

ـ وهل ستفوز به ؟

ـ اعتقد ذلك .

ـ هل يحبها اندريه ؟

ضحك جون وقال :

ـ لم نبحث معاً هذه المسألة الخاصة . برباره سنكلير . . . ليست من النوع الذي يعجبني ، ولكن لديها صفات معينة تجعلها الزوجة المناسبة لأندريه .

أرادت سالي الاسترسال في استفساراتها عن برباره واندريه ، ولكنها تمكنت من ضبط أعصابها ولاذت بالصمت . برباره اللعينة . . . هل تحب اندريه ؟ هل يمكن لتلك المرأة الجليدية الأنانية أن تحب احداً غير نفسها ؟ هل يحبها اندريه ؟ ربما ! تألمت كثيراً لمجرد التفكير بهذا الاحتمال ، فقررت الهاء نفسها بالتحدث مع جون عن حوض التماسيح بصورة عامة . . . وعن عمله بصورة خاصة .

وكعادتها معه ، أحست بالراحة والطمأنينة . . . في حين انها كانت تشعر مع اندريه بالتوتر والاثارة . تململت في مكانها ، عندما تذكرت كلام اندريه لها عن أن الفتاة لا تتزوج شقيقها . اذا تصرف جون معها كأخ ، فهذا لا يعني انه شقيقها . ألم يقل المثل . . . رب أخ لك لم تلده امك ؟ كانا رفيقين وصديقين ، وأحبا بعضهما . لم يخف أي منهما سراً عن الآخر ، باستثناء ذلك السر الوحيد الذي لا يمكن لها اطلاعه عليه . لن تحدث مفاجآت في حياتهما الزوجية ، بل ستكون حياة هادئة وسعيدة للغاية .

سألها جون عن تسللها الى شاحنة اندريه ، فأخبرته معظم التفاصيل . . . بما في ذلك استخدامها الكيس المخصص لثوب الزفاف كوسادة تحت رأسها . ضحك وقال :

ـ اندفاعية ، ومجنونة الى حد ما . لم تتغيري كثيراً ، يا سالي .

بلى ، تغيرت . . . ولكنها لن تخبره أبداً عن هذا التغيير

الجذري . هل تغير هو ؟ لم تتبدل صفاته الأساسية ، ولكن تغييرات كثيرة طرأت عليه منذ مغادرته المدينة . فقد بعض وزنه . . . اصبح اكثر نضوجاً وثقة بنفسه . . . وتبدو على وجهه ملامح حزن لم تكن موجودة من قبل . أرادت أن تسأله عما حدث معه ، ولكنها لم تجرؤ على ذلك . يا للغرابة ! هذا هو جون لانج ، الذي كانت تتحدث معه دائماً بكل صراحة وانفتاح . . .

أوقف جون السيارة داخل المخيم ، ثم سار وسالي نحو كوخه الصغير وسألها :

ـ هل ستكونين سعيدة هنا ، يا سالي ؟

ـ طبعاً . هذا ما كنا نريده دائماً ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، ايتها الحبيبة .

لماذا هذه النظرة الحزينة في عينيه ؟ هل ثمة مشكلة لا تعرف عنها شيئاً ؟ لو كانت الظروف كالسابق ، لسألته على الفور عما يعانيه . ولكنها لم تعد كما كانت . . . فهي تغيرت . . . وجون أيضاً تغير ! أحدث فراق الاثنين شرخاً في العلاقة القائمة بينهما ، فمن الأفضل اعادة الوضع الى سابق عهده بأسرع وقت ممكن . قالت له بلهفة :

ـ جون ! لم تعانقني بعد !

ـ لم تسنح لنا حتى الآن أي فرصة لذلك .

اللعنة ! لماذا يجد اندريه الفرص المناسبة عندما يريد ؟ قالت له بصوت مرتجف بعض الشيء :

ـ اعرف . ولكننا الآن . . . على انفراد . . . أرجوك ، يا جون .

ـ هل يمكننا تأجيل ذلك لحين حصولنا على وثيقة الزواج ؟

ردت ابتسامته بالمثل ، وقالت مداعبة :

ـ اذا كنت تعتقد أن التأجيل ضروري ، فلا بأس .

لماذا التظاهر والادعاء ؟ لم تضطر أبداً في حياتها لاستخدام الكذب والخداع معه ، فلماذا الآن ؟ تمنت من صميم قلبها أن يساعدها الزمن على التخلص من هذه المشاعر المجنونة ، كي تكون علاقتها مع زوجها مخلصة وصادقة تماماً كما كانت علاقتهما كصديقين . سوف تنسى اندريه كونورز . . . وتكرس حياتها لجون لانج !

١٠ ـ لا . . . لن ترحلي !

ابلغها جون في طريق عودتها انه مضطر للقيام ببعض الأعمال الضرورية ، وذلك بسبب غيابه ثلاثة أيام كاملة عن حوض التماسيح . ثم قال :

ـ سنذهب بعد غد إلى أقرب بلدة لاعداد الترتيبات اللازمة لزواجنا ، ثم نبتاع بعض الأشياء الأساسية . وبمجرد أن يسمح لي وقتي بالتغيب بضعة أيام عن العمل ، نعود الى البلدة حيث تتمكنين من شراء أثاث جديد .

ثم ابتسم وأضاف قائلاً :

ـ سيصبح لنا قريباً بيت أكبر وأجمل . سأبدأ في أسرع وقت ممكن بالعمل على اعداد كل ما يلزم لبناء البيت الجديد . لو كنت أعلم

بقدومك منذ بعض الوقت ، لكان البيت الآن جاهزاً الى حد ما .

ـ اعتقد انه كان علي ابلاغك مسبقاً بقراري هذا ، يا جون .

أمسك بيدها وضغط عليها بحنان ، قائلاً :

ـ سالي ! سالي ، أيتها الاندفاعية الحبيبة . لا تتغيري أبداً .

أوه ، لقد تغيرت سالي كثيراً ، يا جون . . . وكذلك انت . . . ومن غير الممكن على الأرجح اعادة أي منا الى طبيعته السابقة !

ـ هل تحبين رعاية الايتام ؟

ـ الايتام ؟

ـ احضر معي الى المخيم بين الحين والآخر حيواناً رضيعاً ، لان امه تكون قد قتلت أو نفقت .

ـ ماذا تترك اذن للطبيعة ؟

ـ في بعض الأوقات ، تكون فرص الحياة والبقاء بالنسبة لحيوان صغير وحيد ضعيفة جداً . . . فأحاول مساعدة الطبيعة على انقاذه من براثن الموت المحتم . هل تقبلين بمساعدتي في هذا المجال ، يا سالي ؟

هذا هو المجال الوحيد الذي لم يتغير فيه جون اطلاقاً . كان يعرف منذ حداثة سنه ماذا يريد في المستقبل ، وقد حقق الآن امنيته . ألم يكن يحضر الى بيته كلاباً صغيرة ويعتني بها . . . ويعلم سالي كيفية الاهتمام بها ورعايتها ؟ ومع أن الكلاب شيء وصغار الحيوانات البرية المتوحشة شيء آخر إلا أنها ستتعلم كيف سترعاها وتهتم بها . لقد تعلمت دائماً القيام بالأعمال التي كان جون يتوقعها منها ، فلماذا لا تقدر الآن . . . وهي اكثر خبرة ونضوجاً ، وأكثر رغبة في اسعاده ! ابتسمت وقالت :

ـ اعتقد انني سأحب ذلك ، اذا علمتني كالعادة كيفية معالجة الأمور المطلوبة مني .

www.rewity.com ARAYAHEEN

نجح جون في جعل يومها ممتعاً ومسلياً للغاية ، بحيث انها تمكنت فعلاً من نسيان تعلقها باندريه . ولكن مشاعرها ثارت مجدداً ، وهما في طريق العودة الى أرض الصنوبر . قالت لخطيبها بلهفة :

ـ دعني أبقى معك .

ـ ليس خلال الأيام القليلة المقبلة ، يا سالي .

ـ أرجوك . . . لا أريد العودة الى أرض الصنوبر . . . الى اندريه . . .

ـ لماذا تكرهين اندريه الى هذه الدرجة ؟

ـ لأنه . . . لأنه متعجرف و . . . وقاس جداً .

ـ يبدو أنه اثارك من الناحية السلبية . لا تكوني قاسية جداً على اندريه ، ايتها الحبيبة . اذا كان ظالماً مع النساء ، فثمة سبب لذلك .

ـ أي سبب ؟

ـ تركت امه أرض الصنوبر وهو لا يزال طفلاً صغيراً .

ـ اوه . . . لم اكن . . . اعلم ذلك . لماذا تركت بيتها وابنها ؟

نظر اليها بكثير من الجدية والاهتمام ، وقال :

ـ لم تتمكن من تحمل الحياة . . . والوحدة هنا . انها ليست حياة سهلة بالنسبة للنساء .

اوه ! هذا هو اذن سبب احتقاره للنساء ، واعتقاده بأن فتاة المدينة لن ترضى بالبقاء طويلاً في مناطق الغابات والأدغال . . ! وبأنها لن تخلص لزوجها طويلاً . وجهت الى جون سؤالاً ، أحست انها تعرف جوابه مسبقاً :

ـ ماذا حدث لأندريه ؟ هل أخذته معها ؟

. التقت رجلاً . . . وذهبت معه . اما اندريه ، فقد تولى والده مهمة رعايته وتربيته .

ـ من المؤكد ان ثمة نساء يقدرن على مواجهة الحياة هنا ، مهما بلغت صعوبتها وقساوتها .

ـ طبعاً ، ايتها الحبيبة ، وأنت احداهن .

ـ نعم . . . ولكن . . . لا توجد علاقة بين هذه الأمور كافة . . . وموضوع اقامتي في أرض الصنوبر ، أنا لا أريد ذلك . جون ، أرجوك ! أنت لا تعرف . . . أعني . . . كان اندريه مستاء جداً عندما اكتشف وجودي على ظهر شاحنته .

ضحك جون وقال :

ـ هذا أمر طبيعي . اسمعي يا سالي . لن تطول اقامتك هنا ، والأيام القليلة ستمر بسرعة أكبر مما تتصورين .

اوه ، جون ! قد اخسر قلبي بصورة كاملة ، بحيث ساجد صعوبة بالغة في طرد اندريه من حياتي . سيظل يلاحقني كشبح مخيف طوال عمري . . . ولكن ، كيف يمكنني الاعتراض على كلماتك هذه بدون اللجوء الى الحجة والبرهان . . . والتفاصيل المخجلة المؤلمة !

وصلا الى قصر الصنوبر ، فوجدا اندريه يعمل في الحديقة . رحب بهما ودعا جون ، الذي لم ينزل من سيارته ، الى البقاء معهما لتناول طعام العشاء . اعتذر جون ، قائلاً ان عليه القيام ببعض الأعمال الضرورية قبل حلول المساء . ثم أضاف يقول لسالي :

ـ سأراك صباح غد باذن الله .

سألها اندريه بعد ذهاب جون :

ـ جولة أخرى في مخيم حوض التماسيح ؟

لم تعلم سالي بأن عينيها كانتا تشعان عاطفة ، بمجرد النظر اليه . . . على الرغم من وجود ذلك القناع القاسي على وجهه ، وتلك الشراسة العنيفة في نظراته . قالت له :

- الى حد ما ، وسنذهب بعد غد لاعداد الترتيبات الخاصة بالزواج .

علق على كلامها قائلاً بلهجة مشبعة بتلك السخرية اللاذعة التي تكرهها :

- يبدو أنك تحصلين على ما كنت تريدين .

شعرت برغبة قوية في القاء رأسها على كتفه وغسل احزانها بالدموع ، ولكنها قررت المضي في تحديه . . . مخافة افتضاح امرها . قالت له بعنفوان :

- نحصل على ما نريده معاً منذ زمن طويل .

- أنت مقتنعة تماماً بهذا الأمر ، أليس كذلك ؟

- طبعاً ، طبعاً . لما لا ؟

- لو لم تكوني طفلة صغيرة ، لعرفت الجواب بنفسك .

لم تغير الأيام القليلة الماضية رأيه فيها ، كطفلة لا تستحق زوجاً مثل جون . . . ولكنها بدأت تفهم بوضوح سبب هذه الروح العدائية . ومع ذلك ، لا يحق له التحدث معها على هذا النحو . هزت رأسها بعصبية ، وقالت له :

- وماذا عن برباره سنكلير ؟ تتصور أنك تفهم امور الآخرين وماذا يناسبهم ، ولكنك لا تطبق هذه النظرية على نفسك . عندما ستتزوج تلك المرأة ، سوف تجد انك مرتبط بقطعة من الجليد لا تعرف أي معنى للحب أو الحنان .

نظر اليها بغضب عارم ، يكاد يصل الى درجة توجيه صفعة قوية الى وجهها ، ثم قال لها بعد بضع لحظات :

- لماذا لا نترك برباره وشأنها ؟

- ولكنك ستتزوجها ، اليس كذلك ؟

- لست مضطراً للافصاح عن مخططاتي ومشاريعي لأحد . نحن

على طرفي نقيض ، فانا أعرف ما أريد ، فيما أنت لا تعرفين . هيا لندخل الى البيت .

مالت قربه . فبدأ قلبها يئن ويتلوى . . . يتعذب ويتألم . لم يلمسها . . . لم يتحدث اليها ، ولكن جاذبيته الوحشية كانت تثير في نفسها مشاعر غريبة تدفعها الى حالة من اللاوعي . ارتطم ذراعه فجأة بكتفها ، فأحست بقشعريرة في كافة انحاء جسمها . . . وبصعوبة بالغة في تنفسها . تطلعت نحوه بسرعة ، فبدا وكأنه لم يحس بهذه اللمسة التي كادت تصعقها . كيف يمكنها أن تحب رجلاً الى هذه الدرجة ، وهو غير مهتم بها أو شاعر بوجودها ! يا للجنون !

ظلت تتقلب في سريرها طوال تلك الليلة ، بدون أن يغمض لها جفن أو ترتاح عقلاً وقلباً . تأكد لها انها ستكون أكثر أماناً في حوض التماسيح ، حتى ولو اضطرت للنوم مع جون في سرير واحد . صحيح أنه لديها الآن غرفة خاصة بها ، ومدبرة المنزل ماريا تنام في غرفة مجاورة كحارس امين . . . ولكن هذه الترتيبات غير كافية لمواجهة رغباتها وأحلامها . اذا دخل اندريه غرفتها الآن وأخذها بين ذراعيه ، فلن تستطيع أبداً مقاومته . . . لا بل انها لن تحاول ذلك !

امضت سالي اليوم التالي في حوض التماسيح ، حيث راقبت عن كثب طبيعة عمل جون وبعض المهام الملقاة على عاتقه وعندما أعادها الى أرض الصنوبر مع حلول المساء ، تبين لها أن اندريه أعد حفلة عشاء غير رسمية يتم خلالها التعارف بين سالي . . . الزوجة المقبلة لجون لانج . . . ومجموعة مختارة من الأشخاص المقيمين في هذه المنطقة .

توترت أعصاب سالي كثيراً لدى سماعها النبأ ، لأنها ليست مستعدة لمواجهة اناس يعرفون بالتأكيد أخبار مغامرتها المثيرة . . . بفضل تلك الانسانة الخبيثة الماكرة برباره سنكلير . كما انها لم تكن

رافبة أبداً في مقابلة هذه المخلوقة الشريرة ، وخاصة لأنها ستقوم بدور المضيفة في بيت اندريه .

تطلعت نحو جون ، فبدا متضايقاً ومتوتر الأعصاب مثلها . ابتسم لها مشجعاً ، ولكنها أحست باشمئزازه من اقدام اندريه على خطوة كهذه بدون استشارتها . قالت لنفسها انه اذا لم يكن هناك بدّ من حضور هذه الحفلة ومواجهة الأمر الواقع ، فمن واجبها على أقل تقدير الظهور بأجمل حلة وزينة .

ذهبت الى غرفتها حيث استحمت ، وتبرجت ، وتأنقت . . . ثم عادت الى الحديقة وهي تختال زهواً وتكبراً . بدأ الضيوف يتوافدون على قصر الصنوبر ، ابتداء من الساعة الثامنة ، وكانوا جميعاً متشوقين لمقابلة الفتاة التي تسللت الى شاحنة اندريه وتخفت فيها . لقد قامت برباره ستكلير بمهمتها الحقيرة على خير وجه ، اذ لم يكن بين المدعوين أحد لا يعرف قصة التخفي في الشاحنة . ولكن سالي سجلت أول انتصار لها على برباره . فعوضاً عن تعرضها للقدح والذم والانتقاد ، ولنظرات الازدراء والاستهجان ، اكتشفت أنها أصبحت خلال فترة وجيزة جداً محور اهتمام الجميع ومحط اعجابهم وتقديرهم .

لم تتبادل مع برباره سوى بضع كلمات ، اقتصرت في معظمها على الشكليات والرسميات . تعمدت تجنبها وعدم النظر اليها ، وخاصة لأن تصرفات برباره معها كانت باردة وجافة وعدائية الى درجة مذهلة . . . إلاّ عندما يكون اندريه قريباً منهما ، فتتظاهر بالود والصداقة .

كانت ليندي أيضاً مدعوة الى الحفلة ، فشعرت سالي مجدداً بالارتياح لوجودها . . . ولتلك الابتسامات الحلوة الطيبة التي تعلو ثغرها طوال الوقت . ولكن مسحة الحزن الخفيفة التي كانت تظهر

بين الحين والآخر على وجهها البشوش وفي عينيها الضاحكتين ، أدمت قلب سالي . فهي وحدها قادرة على فهم معاناة ليندي وعذابها ، لأنها مثلها تحب رجلاً لا يحبها .

لم ترَ جون كثيراً منذ وصولها الى أرض الصنوبر ، ولكنه ظهر فجأة أمامها وهو يحمل لها صحناً تنبعث منه الرائحة الشهية للحم المشوي ، شكرته على اهتمامه بها ، ثم سألته بهدوء :

ـ هل أزعجك اقدام اندريه على اقامة هذه الحفلة بدون استشارتنا ؟

ـ لا ، أبداً !

ـ يا له من متغطرس متعجرف ! لا يستشير احداً ، بل يفعل ما يريد .

ـ من النادر جداً أن يقدم اندريه على أي خطوة ، بدون وجود أسباب كافية .

نعم ، لديه أسبابه . . . وهي تعرفها جيداً ، ولكنها ليست قادرة على كشفها أمام جون . تباً لهذه التحولات التي طرأت على علاقتهما ! لم تكن لتتردد أبداً في السابق . . . في اطلاعه على أي موضوع كان ، وكانت تعلم دائماً انه سيتفهم المسألة برحابة صدر واستعداد كامل للتحليل والمناقشة . إلاّ أنّ جون الجديد لم يعد كالسابق ، على الرغم من انه لا يزال الرفيق الطيب الذي أحبته دائماً . يا للغرابة ، ويا لسخرية الأقدار ! ها هي الآن على وشك تحقيق حلمها القديم بالزواج من جون لانج ، ومع ذلك فهي تشعر بالتردد معه . . . لأول مرة في حياتها .

انتهى الجميع من تناول طعام العشاء الشهي ، وتحولوا الى حلبة الرقص التي اقيمت في وسط الحديقة . رقصت سالي مع خطيبها ، الذي تولى منذ الصغر تدريبها على كافة الرقصات التقليدية

والعصرية ، وسرها أنها لا تزال قادرة على جمع خطواته بدون تعثر أو تردد . هكذا سيكون مستقبلهما . . . مبنياً على التنسيق والتعاون . . . والوفاق التام في الفكر والروح . رفعت رأسها نحوه باسمة ، وقالت له عندما رد على ابتسامتها بالمثل :

ـ سنكون سعيدين مع بعضنا .

انتهت الرقصة الأولى ، فتهافت معظم الرجال على دعوتها . . . ربما لأنها حديثة العهد في مجتمعهم الصغير المحدود . لبت كافة الدعوات ، الواحدة تلو الأخرى . . . الى أن اصبح اندريه كونورز الرجل الوحيدفي تلك الحفلة الذي لم يوجه اليها دعوة للرقص . راقص معظم النساء الموجودات ، ربما بداعي الضيافة واللياقة ، ولكنه خص برباره سنكلير بحصة الأسد . وعندما كادت تفقد الأمل ، اقترب منها بهدوء ودعاها الى الرقص معه .

هل سترفض دعوة هذا المتكبر المتغطرس ؟ لا ، لا يمكنها ذلك . . . اذ يكفيها ما تعانيه منه ومن معاملته لها كطفلة صغيرة . تظاهرت بعدم الاكتراث ، وبأنها توافق على دعوته لمجرد كونه صاحب الدار ، وتمنت ألاّ يشاهد الارتجاف القوي في شفتيها أو يشعر بصعوبة تنفسها .

حاولت التصرف ببرودة متناهية ، ولكن قلبها ذاب وتلاشى بمجرد التصاقها به . ضمها اليه اندريه بقوة وطوقها بذراعيه ، ففقدت أي رغبة في المقاومة . تضافرت ضدها قوى كثيرة متعددة . . . موسيقى هادئة حالمة ، جودافيء . . . رائع . . . رجل لا كالرجال ، فأحست بسعادة عارمة لا حدود لها .

حل منتصف الليل ، فبدأ الساهرون المضطرون للنهوض باكراً بمغادرة أرض الصنوبر الواحد تلو الآخر . كانت الظلمة حالكة ، فلم تعد سالي قادرة على رؤية وجوه الباقين بوضوح . هل يهمها

ذلك ؟ لا ، فمعها اندريه . نسيت انها ستذهب صباح اليوم التالي مع جون لاعداد ترتيبات الزواج ، فأفكارها كلها مركزة على هذا الرجل الجذاب الذي يثير أحاسيسها . وفجأة . . . تحطم صرح السعادة الذي بنته مؤقتاً حولها ، عندما سمعت برباره تناديه :

ـ اندريه حبيبي ، ضيوفنا ذاهبون .

ضيوفنا ! أزعجها هذا التعبير أكثر من كلمة حبيبي ، فبدأ جسمها ينتفض بقوة عندما تركها اندريه وذهب لوداع ضيوفه . . . ضيوفهما ! شكرت سواد الليل الشديد لاخفائه دموعها عن عيون الموجودين ، وسارت نحو أشجار الصنوبر المحيطة بالحديقة . . . لتبكي على انفراد .

شعرت تدريجاً بأنها لم تكن وحدها . . . سمعت أصواتاً خافتة لحبيبين يظنان انهما بعيدان عن الآخرين . قررت الابتعاد عنهما ، ليتمتعا بعزلتهما . . . ولكنها تسمرت في مكانها عندما سمعت صوت جون . حبست أنفاسها وأصغت بانتباه بالغ الى الصوت النسائي ، فتأكد لها أن صاحبته ليست إلاّ صديقتها المحتملة . . . ليندي .

اقتربت منهما بخفة ورشاقة ؛ بدون محاسبة نفسها على هذا التصرف غير اللائق . . . وبدأت تتنصت بعناية . كانا قريبين جداً لبعضهما ، وكأنهما ملتصقان . وسمعت جون يقول بصوت منخفض ، يوحي بالألم والمرارة :

ـ آسف جداً ، يا حبيبتي .

ـ أعرف . . .

لا شك في أن ليندي تبكي . . .

ـ أنا وحدي مسؤول عن هذا الخطأ الفادح . كان من واجبي أن اكتب لها وأخبرها . . .

صمت جون بضع لحظات ، ثم أضاف :

www.rewity.com KAYAHEENA

ـ ليندي ، حبيبتي ! لا يمكنني الآن التخلي عن سالي ، فهي تعني لي الكثير منذ صغرنا . آه ، تلك الخطوة المجنونة التي أقدمت عليها . . . هذه هي سالي ، الاندفاعية والمتحمسة دائماً .

ـ سيكون الأمر بالغ الصعوبة .

بدت ليندي وكأنها تبذل جهوداً جبارة وشجاعة للسيطرة على نفسها ، ولكن الارتجاف كان واضحاً في صوتها . وسمعت سالي جواب جون :

ـ سيكون جحيماً . . . عندما أراك . . . وأفكر بالمشاعر القوية التي نكنها لبعضنا . أحببت سالي دائماً ، وقد بادلتني هذا الحب بمثله أو حتى بأقوى منه . ولكنني لا أحبها بالطريقة ذاتها التي أحبك أنت فيها . لماذا لم أكتب لها ، وأطلعها على الحقيقة ؟ تباً لي ولهذه التصرفات الرعناء ! اعذريني ، يا حبيبتي . أنا آسف جداً .

اقتربت منهما سالي ، وقالت له بحدة وانفعال :

ـ هذا هو أقل ما يقال !

شهقت ليندي وابتعدت بسرعة عن جون ، ولكن الرجل ظل واقفاً بدون حراك . . . ثم سألها بعد لحظات صمت رهيبة :

ـ هل . . . هل سمعت ؟

ـ كل كلمة ، وأشكر الظروف على ذلك ! كان يفترض بك أن تكتب لي عن هذا الأمر . كنت سأتفهم وضعك .

ـ هل ستتفهمين حقاً ، يا سالي ؟

ـ أتصور . . . اتصور ذلك . كنت سأشعر على الأرجح بألم شديد ، إلا انني كنت سأتجاوز المحنة . . . بطريقة أو بأخرى . . . عاجلاً أو آجلاً .

قامت بهذه الرحلة الطويلة المضنية بدون أي مقابل . . . ولتواجه بمثل هذا الفشل الذريع . لو أبلغها مسبقاً ، لكان وفّر عليها مشقة

القيام بهذه المغامرة المجنونة . . . وعذاب الوقوع بحب رجل متزوج غيرها . لن تحب أحداً بعد اندريه ! قالت لها ليندي :

ـ سالي ! انا آسفة .

ـ لا ، يا عزيزتي ، فأنت تناسبين جون الى درجة كبيرة .

سمعتهما يتنفسان الصعداء ، فضحكت بنعومة وأضافت قائلة :

ـ يتحتم عليك بالطبع الزواج منه ، وسأكون أول المهنئين . تأكدي أنني لا أسلمه الى أي فتاة تعجبه أو يعجبها ، لأنني أحبه من صميم قلبي . . . ولكن كمجرد أخ .

قال لها جون بسرعة ولهفة :

ـ سالي . . . سالي ، هل تعنين ذلك ؟

ـ نعم . تزوج ليندي ، فأنتما . . . تناسبان بعضكما تماماً .

ـ وأنت ؟ ماذا سيحل بك ؟

أصبح الموقف الآن اكثر صعوبة وتعقيداً ، ولكنها تحاملت على نفسها وقالت :

ـ عرفت . . . عرفت خلال الأيام الثلاثة الماضية أنني . . . أنني لا أحبك ، كما يجب على المرأة أن تحب زوجها .

ـ ولكنك لم تقولي لي ذلك أبداً ! كنت تحاولين القيام بدور مماثل . . . ترفضين التخلي عني !

صمت لحظة ، ثم أضاف قائلاً . . . مستوضحاً أمراً ما يزال يجهله :

ـ لماذا أتيت اذن ؟ هل كنت تعتقدين . . . هل ثمة شخص آخر الآن ؟

لم تتمكن سالي من الاجابة على هذا السؤال المحرج ، فصرخت ليندي بصوت خرق جدار الصمت :

ـ اندريه ! انه اندريه ، أليس كذلك ؟

- نعم . ولكنه لا يريدني .

قالت لها ليندي بلهجة ايجابية جداً :

- انت مخطئة ! هل تذكرين ما حدث بعد ظهر ذلك اليوم ، عندما أحضرت له بعض الأوراق ؟ شاهدت وجهه وهو ينظر اليك ، ولاحظت على الفور مدى تعلقه بك . ولما ذكرت اسم جون وعزمك على الزواج منه ، أصبت بهلع شديد حرمني من التفكير بموضوعكما .

- اندريه . . . سيتزوج برباره . اعتقد انني سأعود الآن ، لأنني أشعر بالبرد .

اقتربت من ليندي ، ثم عانقتها بحرارة وقالت لها :

- اعتني بجون لأجلي ، يا ليندي .

قبلت جون ، ولكنها لم تقل له شيئاً بسبب تأثرها البالغ . الآن . . . عادت علاقتها الى سابق عهدها أثناء الطفولة وسنوات المراهقة ، وسوف يفهم حقيقة مشاعرها حتى ولو لم تتفوه بكلمة واحدة .

عادت الى الحديقة ، حيث كانت الحفلة لا تزال في أوجها . ولكنها فقدت أي رغبة في الرقص أو التحدث مع أحد ، ولم يعد يهمها سوى التوجه فوراً الى غرفتها وتوضيب أمتعتها . ستطلب من اندريه في الصباح نقلها الى أقرب قرية ، لتنتقل منها الى ستريمز . . . ثم الى بيتها وعائلتها .

جميع الاحتمالات والبدائل أفضل من البقاء في أرض الصنوبر . فسخت خطوبتها مع جون ، ولم يعد هناك بالتالي أي سبب لتمضية يوم واحد فقط في منزل اندريه . لو كانت قادرة على مغادرة بيته هذه الليلة ، لما ترددت .

أعجبها تصرفها مع جون ، لأنه التصرف السليم الوحيد . . .

ليس بالنسبة اليه فقط ، ولكن بالنسبة اليها أيضاً . ألم يتأكد لها قبل هذه الحفلة ، أنها قد لا تتمكن ابداً من طرد اندريه من حياتها وقلبها ؟

وضعت جميع ملابسها في الحقيبة ، بما في ذلك الثياب التي كانت عليها أثناء الحفلة . . . المشؤومة ، وارتدت قميص النوم الحريرية الشفافة استعداداً للنوم . يا لسخرية الأقدار ! هذه هي القميص التي كانت تنوي ارتداءها في أول ليلة بعد زواجها من جون . . .

فتح اندريه الباب فجأة ، ودخل بدون استئذان . بدا جذاباً ، قوياً ، متوحشاً ، فتاكاً ، مثيراً . . . هكذا ستتذكره دائماً . كم هي سخيفة عندما تحاول اقناع نفسها بأنها ستنساه ، وبأن صورته لن تلاحقها طوال العمر ! رفعت يديها بسرعة وغطت صدرها . . .

فأطلق اندريه تلك الضحكة الخفيفة المغرية ، وقال :

- لقد شاهدت أكثر مما تحاولين اخفاءه الآن .

اللعنة عليه ! كان يراقبها اذن ، عندما خرجت من تلك البركة .

هزت رأسها بعصبية ، وكأنها تحاول ابعاد تلك المناظر عن عقلها وتفكيرها . قال لها :

- لا مبرر للتهرب مما حصل .

أحنت رأسها خجلاً ، فامسك بيديها . تجمدت في مكانها ، وهو يتأمل وجهها الجميل . مرّت لحظات عسيرة جداً ، أضاف بعدها بصوت ناعم رقيق :

- جميلة . . . جميلة جداً . مسكين جون ، فهو لا يعرف قيمة التي سيتخلى عنها .

ذهلت وارتبكت . . . فسألته بصوت هامس تقريباً :

- كيف عرفت ذلك ؟

رفع احدى يديه وأمسك بذقنها ، بحيث يتمكن من النظر الى

عينيها مباشرة . . . وقال :

- أعرف . هل أنت مستاءة ، يا سالي ؟

لم تجبه على الفور ، فنظراته أخرستها وجاذبيته حبست الهواء عن رئتيها . مضى الى القول :

- وجدت جون وليندي معاً بين أشجار الصنوبر ، فقررت اطلاق سراحه . . . أليس كذلك ؟

توقف لحظة وهو يوجه الى عينيها نظرات حارقة ، ثم سألها .

- هل هي طعنة في الكبرياء وعزة النفس ؟

هزت رأسها ، ولم تتمكن من الاجابة . لمعت عيناه فجأة ، وسمعته يأخذ نفساً عميقاً . ثم عاد الى الكلام مجدداً :

- يقول جون انكما أدركتما أن الحب الذي يجمع بينكما ليس حب رجل وامرأة . هل هذا صحيح ، يا سالي ؟

سالي ! ها هو يكرر الاسم للمرة الثانية خلال لحظات ! لم يعد يهمها أن اندريه سيتزوج برباره ، وأن كرامتها ستكون أكثر مناعة وقوة اذا تمكنت الآن من اختلاق أعذار مناسبة . لا تزال يده ممسكة بذقنها ، ونظراته مركزة على عينيها لتسحب منهما الحقيقة التي لم تعد قادرة على تغطيتها . قالت له بصوت هادىء :

- نعم . هذا صحيح .

ظهر الارتياح في وجهه وعينيه ، فانهمرت دموعها . حاولت ابعاد وجهها عنه ، ولكن يده القوية منعتها من تحقيق ذلك . أدركت سالي عندئذ ، انها لم تعد عابئة بما اذا كان قادراً على قراءة أفكارها وفهم مشاعرها . ليقل عنها ما يشاء . . . ليقل انها سخيفة وقليلة الحياء ، فأين الكبرياء وعزة النفس أو ما تبقى منهما ! وضع يده على كتفها ، وسألها بهدوء ورقة :

- والآن ، ماذا كنت تفعلين عندما اقتحمت غرفتك ؟

- أعد نفسي للسفر . أنا ذاهبة ، يا اندريه .

قال لها بلهجة صارمة :

- لا ، لن ترحلي .

نظرت اليه بدهشة واستغراب بالغين ، وقد لمحت بصيص أمل في كلماته الثلاث القوية . سألته متلعثمة ومترددة :

- ماذا . . . ماذا تعني ؟ لا يسعني البقاء هنا . . . بعد فشلي في تحقيق الزواج الذي كنت اصبو اليه . . . منذ سنوات .

- يمكنك البقاء هنا كزوجتي ، يا حبيبتي ، أيتها الهرة الضائعة .

قالت له بصوت مرتبك تغمره السعادة :

- زو . . . زو . . . زوجتك ؟

- طبعاً . هل تقبلين بالزواج مني ؟

أهذا حلم أم حقيقة ؟ هل تصدق ما سمعته اذناها ؟

- ولكن . . . ولكن برباره . . . قالت . . .

- لم تكن امنيات برباره يوماً مطابقة لأمنياتي .

كان يبتسم ، ولكنها شعرت بتململ ونفاد صبر في يديه اللتين بدأتا تجذبانها نحوه بمحبة وحنان واضحين . أرادت سماع تلك الكلمات الرقيقة التي تحلم بها منذ ايام ، ولكنها وجدت صعوبة بالغة . . . فاكتفت بالقول :

- هل تعني أنك . . .

- نعم احبك ، يا صغيرتي الاندفاعية . . . يا حبيبتي الهرة . أحببتك منذ اللحظة التي وجدتك فيها نائمة على ظهر شاحنتي . هل أجبتك على سؤالك ؟

قالت له هامسة :

- اوه ، نعم ، نعم . وأنا احبك ، ولذلك . . .

لم يدعها تنهي جملتها بأن حبها له منعها من الزواج بجون . . .

مع أنها كانت قادرة تماماً على ذلك . عانقها بطريقة لا تسمح بمتابعة الكلام . . . وأحست بعد لحظات بأنه لا حاجة لأي كلام على الاطلاق . فهمها اندريه الآن . . . وسيظل يفهمها الى الأبد .

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

روايات عبير
www.rewity.com
^RAYAHEEN^

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 153

لا شيء يهم!

أصعب وأقسى الأزمات القلبية تقع حين يكون القلب مفعماً بالحب، ولكن ضائعاً محتاراً لا يعرف من يحب.

سالي في الثالثة والعشرين من عمرها احبت جون منذ طفولتها. وعندما سافر الى افريقيا ليعمل طبيباً بيطرياً... عاشت على رسائله اليومية، وانتظرت يوم زواجهما بفارغ الصبر. ولكن بعد سنة خفت الرسائل الى درجة اقلقتها، فتركت اهلها وسافرت الى منطقة حوض التماسيح. الطريق الى هناك وعرة مليئة بالأخطار... غابات ووديان موحشة تسكنها الوحوش الضارية. بحثت سالي عن وسيلة تنقلها الى جون ولكن دون جدوى... وفجأة صادفت شاحنة صعدت اليها واختبأت... وبعد مسافة طويلة اكتشفها السائق اندريه كونورز واعتبرها متسللة وهددها بعقاب وخيم. الا ان رحلة الرعب عبر غابات حارقة انتهت بوقوع قلب سالي في أزمة خانقة. انها لا شك عاشقة، قلبها مفعم بالحب... انها لا تنام الليل... احلامها وأوهامها تقض مضجعها. هي سعيدة وحزينة... حرة وسجينة، اندريه كونورز اهانها وأذلها الى درجة مرقت عزة نفسها وهي لا يمكن ان تكون غارقة في حبه.